الضمير

في هذا الزمن الذي لا تسود الفوضى فيه دنيا السياسة والاجتماع فحسب ، بل دنيا النفوس ايضاً ، لم يبق في وسع الصوفيات ارضاء ذهنية في الناس أمست لا تؤمن بسوى ما يجيء لقدر من الاحداث المفاجئة والشؤون الطارئة . وبديهي والحالة هذه ان يتطلب الروح البشري الطامح الى حياة أسعد وأرغد ، حقيقة أثبت وأرسخ . وهكذا نرى الصفوة المستنيرة من اهل هذه الكرة تتجه نحو تلك الحاسة الباطنة ، نحو ضميرها ، معرضة عن الصوفيات التي لم تجدها نفعاً . ولا غرابة ، فحينما يخيّب النظر في الامور وتمحيص الحقائق ، امل العقل ، يلجأ الانسان الى الايمان المستمد من ضميره ، رجاء ان يهتدي فيه الى الحقيقة التي ما فتئ يبحث عنها ، حتى اذا لم يوفق اليها في ضميره وجد ثمة ، على الاقل ، التعزية والامل اللذين لا سبيل بدونهما الى التفاؤل في الحياة . ومما لا شك فيه ان الايمان المستمد من الضمير او من الوجدان قادر وحده على منح التعزية والامل ، لانه يخاطب القلب ، يخاطب الذات الشاعرة فينا .

لكن المرء لا يستطيع النفاذ الى ضميره ، الا اذا قدر على التملص من المؤثرات القائمة حوله . وهذه المؤثرات لا يقوى على التملص منها الا اذا أدرك ان له شخصية ، وانه انسان حر . وليس المرء الا ان يعاين نشوء المذاهب والصوفيات الاجتماعية التي تبتدعها الفلسفات السياسية حيناً بعد حين ، وكيف تحيا هذه المذاهب وترتكز ، ليتفهم جوهرها ، ويقدر مدى اتصالها بالروح ، ويميز بينها وبين ما يصدر مباشرة عن الطبيعة البشرية . فما قام في الناس مذهب اجتماعي جديد الا احتاج مبدعوه الى بث الدعوة له بجميع ما اوتوه ، مما يبهر المخيلة ويغريها ، وكل مذهب يحتاج الى خطباء وفلاسفة ومخرجين ومظاهرات ليس بالمذهب الانساني الشامل . فالعنصرية مثلاً لا تعلم الامة الا الاسراف في محبة ذاتها ، وايثار لحمها ودمها على سائر ما برأ الله من لحم ودم ، في حين ان الديمقراطية الصحيحة لا يسعها الا ان تعلم الانسان محبة الانسان ، لانها لا تفرّق بين شعب وشعب ، او بين شخص وشخص ، الا بمقدار ما يمتاز به أحدهما عن الآخر من موهبة او اجتهاد او فضيلة .

على ان الديمقراطية الحقة ليست بدعة الفلسفات السياسية كالمذاهب الاخرى ، بل هي حقيقة ابدية مستمدة من حق الانسان الطبيعي . وهي والحرية صنوان لا يفترقان ، و كلاهما هدف بل حاجة يشعر المرء بها ويستدل عليها ، بضميره او بوجدانه .

وقد قلنا في مقالنا السابق « المعلم الاول » ان الشعور الكوني لا يتنافى والشعور الوطني ، بل يزيده قوة اذ يزيده انسانية . فمتى أدرك امرؤ ما هو مدين به نحو غيره أنصف ، والاقساط بالعدل أشرف المزايا التي يتحلى بها المجتمع البشري .

ومجمل القول ان الديمقراطية والوطنية تتلاقيان في الضمائر الحرة على صعيد واحد ، وتمتزجان عقيدة واحدة في مثل أعلى هو : الانسانية .

البير اديب

العصر الجديد بين نظامين

بقلم جبراند تويني

●

مما لا مشاحة فيه ان العالم سيشهد بعد الحرب عصراً جديداً ، يسود المعمور فيه نظام جديد ، يجعل منه المنتصرون دستوراً لحكم الشعوب .

ولقد يكون من الابتسار ان نتكلم عن هذا النظام منذ الان ، قبل ان تضع الحرب اوزارها ، لئلا يصح فينا قول من قال : « انهم يبيعون جلد الدب قبل صيده » . ولكن دعاة الطغيان جعلوا من هذا النظام الجديد احدوثة الاحاديث ، وراحوا يعلنون عنه بكل ما يملكون من وسائل النشر ، ويطبلون بمحاسنه ويزمرون . فنحن لانستبق الحوادث اذن ، حين نتكلم عن هذا النظام الموعود .

قلنا ان العالم سيشهد بعد الحرب عصراً جديدا ، سواء اكان الفوز حليف الديمقراطيات وهو كذلك انشاءالله ، أم حليف الطغيان ، لا سمح الله . لان الصراع الحالي زلزل الاسس التي وضعها الفقهاء المدنيون لحكم الشعوب ، فلا بد للخلف ان يضع اسساً جديدة ، قد تختلف في اساليبها عن الاسس التي وضعها السلف .

على ان هناك اساسين لا مفرّ من ان يقوم البناء على احدهما ، اية كانت التفاصيل . اما اساس تكون الديمقراطية قوامه ، واما اساس يكون الطغيان قوامه ، والعياذ بالله . ونحن نطمئن سلفاً الى الاساس الديمقراطي ، مهما اعتوره من شوائب يستطاع اصلاحها ، فلا نبحث هذا الاساس ، ولكننا نبحث اساس النظام الجديد الذي يتغنى بـه دعاة الطغيان ، ويريدون ان يسعدوا به الشعوب . ولن يتهم الكاتب بادعاء النبوءة ، اذا هو تبين روح هذا النظام الجديد من خلال اساليب الطغيان العملية ، فضلاً عن تعاليمه النظرية . فهو ، اي الطغيان يرمي الى افناء الفرد في المجموع ، ويجعل الانسان قطعة صماء خرساء في آلة الدولة الكبرى ، تؤدي وظيفتها بطريقة ميكانيكية صامتة ، من غير ان تتاح له فرصة الاعراب عن رأيه . فالطاغية هو الذي يأمر ، وهو الذي يجب ان يطاع ، وهو غير مسؤول عن اي عمل يأتيه ، وليس لاحد ان يناقشه الحساب ، لان الامة كلها من انسان وحيوان ونبات وجماد ، يجب ان تكون طوع بنانه ورهن اشارته ، يوجهها في الوجهة التي يريد . فاذا هو شاء ان يلبس الفرد حذاءاً ابيض في الشتاء ، وجب على الفرد ان ينتعل حذاءه الابيض راضياً قانعاً ، وان يهتف للزعيم مقتنعاً ان اللون الابيض لا يصلح الا للشتاء ! .

وكأني بالقارىء يبتسم . ولكنني اسأله : من الذي يجرؤ على معارضة الزعيم او مناقشته اذا خطر له مثل هذا الشذوذ ؟

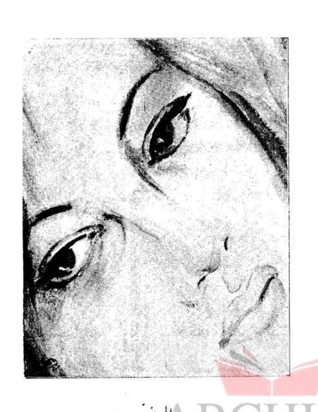
من الذي يناقش الطاغية اذا قرر ؟ أمجلس النواب ، وهو غير موجود ؟ واذا كان هناك نواب كانوا تماثيل يحركهم كيف يشاء ، فلا يجرأون على معارضته ؟ ومن البديهي في الناس اختلاف الاذواق وتباين الاراء ، فليس من الطبيعي ان تتجمع الاراء والاذواق المتباينة في ارادة شخص واحد ، فان البشر عندئذ يصبحون او يمسون قطعاناً من الانعام ، ويفقدون معنى الحياة وبهجتها ، وليس للحياة من معنى او بهجة ، اذا لم يكن الانسان حراً في نفسه يفكر كما يشاء ويلبس ما يشاء . ان النظام الجديد الذي يبشر به الطغيان انما يقوم على استبداد الفرد بالمجموع ، وعلى سلب الناس حريتهم وتسخير آرائهم معاً . . فان كان في هذا النظام الجديد نعيم الفردوس فلا نغالي اذا قلنا ان جحيم الديمقراطيات افضل منه ، لان حرية الانسان حق طبيعي ، ليس لبشر ان يحول بينه وبين مزاولته . ورحم الله عمر بن الخطاب القائل : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » ؟ .

جبراند تويني

العيون

بقلم يوسف غصوب

◆



الواحة

عيناك يا عذراء اغنية
خضراء في وجه الضحى الاشقر
غريبة الالحان من واحة
ضائعة في بلد مقفر
على حدود الوهم آفاقها
وفي مجالي الخاطر النير
يا خضرة تزهى على وارف
من هدبها يا حيرة السمر
يا بحرة حالمة في نقا
يا لمحة من عالم آخر
تلقي على الاشياء من حولها
نوراً واسراراً وظلا طري
ما ابعد الاعماق في نظرة
ظمأى الى حلم لها مضمر
يهفو مدى عينيك في مهجتي
شوق الى بائدة الاعصر
أبقت لك الاقدار من عهدها
شيئاً من الفردوس في المحجر

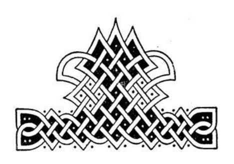
◆

الحديقة

من نشوة الليل ام من غفوة السحر
عيناك ام نغم يلهو على وتر
حديقة ضج فيها الشوق فافترشت
ازهارها في هدوء الليل للقمر
يهيم بين الورود السود يسألها
عن منبع النور في مخضلها العطر
فيض من الحب سر لا انفضاض له
في ظلمة النفس ام همس من القدر
رفت على القلب عيناها فلا اثر
للرشد فيه ولا للوعي من اثر
نشوان تحدو به الانغام منفلت
في اللانهاية بين الطيب والزهر
ترقى له الشعر عيناها فيرسله
شيئاً من الوحي لم يخطر على بشر

يوسف غصوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



في المدنية العربية

بقلم الدكتور قسطنطين زريق

◆

شهد العالم مدنيات مختلفة تتابعت عليه ، فكان لكل منها ميزتها الخاصة والوانها التي تفردت بها عن سائر المدنيات. وسادت كل منها في بقعة معينة من الارض ، وفي دور من ادوار التاريخ ، فأدت نصيبها الخاص من تكوين الحضارة الانسانية. هذا النصيب الخاص هو مجموع العناصر الخالدة فيها، العناصر التي لا يحدها مكان او زمان ، والتي تصبح ارثاً للانسانية جمعاء ، يتذوقها كل انسان بما هو انسان ، فيكتسب منها غنى ونمواً وكمالاً . وكل مدنية بشرية انما تقاس في نهاية الامر بقيمة هذه العناصر التي تكونها ، وبسعة دائرة البشر الذين يجدون فيها غذاء لعقولهم ، وغناء لنفوسهم وارواحهم، فكأي من شعب غزا البلاد الواسعة، وفرض عليها نظمه واحكامه ، وانشأ لنفسه فيها حياته الخاصة ، ولكنه لم يقدم للعالم الا القليل الضئيل مما يستطيع ان يغتني به غيره من الشعوب . وعلى العكس ، نجد شعباً كاليونان مثلاً قد كشف من اسرار الكون والحياة ، وفجّر من ينابيع النفس الانسانية ما ظل خلال القرون الماضية — وما يزال — مورداً عذباً لقسم كبير ممتاز من ابناء البشرية يتهافتون عليه،ويرتوون من نميره،على اختلاف لغاتهم واجناسهم وتواريخهم .

ولا بد من الملاحظة ان العناصر الباقية في اي من المدنيات لا تخرج عن ان تكون في جوهرها عقلية وروحية . فما لمظهر من مظاهر الحياة من قيمة الا بقدر ما يحتويه من نتاج العقل والروح ، وما التقدم البشري الصحيح سوى تقدم في مقدرة الفكر الانساني على تفهم الحقيقة ، وفي نمو النفس الانسانية وسموها، فلنسمع اذاً اولا،عند اقبالنا على درس مدنية ما، الى مولدات ابنائها الفلسفية والدينية والعلمية والادبية ، والى ما تنطوي عليه نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية من القيم الشخصية الانسانية . لقد خلف لنا المصريون اهرامهم الجبارة ، ولكن قيمة الاهرام الحقيقية ليست في احجارها المركزة الواحد فوق الآخر، بل في القوى العقلية والمزايا الروحية التي خلقت هذا البناء. وترك لنا الرومان انظمة وقوانين واحكاماً لا تزال الى الآن نبني عليها ونستمد منها،لانها تصدر عن عناصر عقلية خالدة تعم النوع الانساني بكامله . وورثنا عن الشعوب اللاتينية في القرون الوسطى ابنية دينية وحربية ونظماً اجتماعية ومؤسسات سياسية، اذا نحن حاولنا ان نفهم معناها في حياتنا الحاضرة لم نجده الا في ما تنم عليه،من تطلع الى عالم اسمى، ومن احساس دقيق بالفن والجمال . ذلك شأن كل مدنية عرفها التاريخ البشري ، حتى المدنية الحديثة التي تعودنا ان ندعوها « مادية » ليست



تختلف في الحق والواقع عن المدنيات الاخرى في كونها كما نردد كثيراً « مادية » وسواها روحي ، وانما في القوى العقلية والروحية الخاصة التي ابدعت هذه المادة والتي تحركها من وراء المظاهر الخارجية . فما المادة في نهاية الامر سوى الاداة التي يستخدمها العقل والروح في سبيل الافصاح عن نفسها .

وليس يخامرني شك في ان من اجل الاعمال التي تقع على عاتق المؤرخين وعلماء الاجتماع والمفكرين على العموم ان يعمدوا الى تحليل كل من المدنيات البشرية المختلفة ، للوقوف على جوهرها العقلي والروحي الذي تقوم به ، ولاستخراج عصارتها المقطرة الخالصة التي تجتمع فيها صفاتها ومميزاتها وتتجلى عبقرية الامة التي ولدتها . وبذلك يستطيع طالب الثقافة ان يتبين بوضوح العناصر الباقية التي ورثتها الحضارة الحديثة ، وان يلمس بيده الخيوط المختلفة الاجناس المتنوعة الالوان التي اعدتها العصور الماضية ليحاك منها التمدن الانساني في الحاضر .

هذا العمل التحليلي واجب بصفة خاصة بشأن المدنية العربية . وذلك لسببين اولهما ان هذه المدنية لاتزال، بالرغم من الابحاث التي قام بها المستشرقون وابناء العربية، مجهولة الجوهر محاطة بهالة كثيفة من الشك والغموض، ولا تزال الاحكام النهائية عليها تختلف اختلافاً شديداً ، وتصدر في الاغلب عن الشعور والهوى ، فتترجح بين الاعجاب المفرط من ناحية والانتقاص الشائن من ناحية اخرى . وها انا نرى ابناء هذه المدنية العرب يتيهون في مجالاتها الواسعة فلا يرشدون الى منابع حياتها ومصادر قوتها . اما عامة المثقفين من غير العرب ، فلا يعرفون عنها الا اسمها ، فاذا تخطوا ذلك وسألوا عن قيمتها في حياتهم لم يجدوا رداً صريحاً او جواباً شافياً . وما لم تصبح الحضارة العربية قسماً من تراث جميع طلاب الثقافة اينما كانوا ، فانها تظل دون المستوى العلمي الذي نعتقد ان من حقها ان تحتله بجانب المدنيات العالمية الاخرى . واذا كان واجب الكشف عن هذه العناصر العربية الخالدة وتعميمها يقع على عاتق رجال العلم جميعاً في الغرب والشرق يفرضه عليهم طلب الحق اينما كان ، فانه الى المفكرين العرب انفسهم اقرب ، وبهم اخص والصق ، فاليه يجب ان يصرفوا ما في وسعهم من جهد ، وما يملكون من سبل البحث .

اما السبب الثاني لخطورة هذا العمل التحليلي للمدنية العربية فهو ان العرب ، في هذا الدور الذي ينهضون فيه لبناء حياة جديدة ، لاحوج ما يكونون الى فهم جوهر مدنيتهم السالفة وكنه حضارتهم الموروثة ليتعرفوا منها مزاياهم وصفاتهم الخاصة ، فيستخدموها في انشاء كيانهم الحاضر ورسم خطتهم للمستقبل وتحديد الرسالة التي يؤدونها للعالم . وغني عن القول ان هذا لهو من اهم الواجبات التي تفرضها النهضة القومية الرشيدة ، النهضة التي تريد ان تركز نفسها على اساس متين ، وركن من قوى الحياة الصحيحة ركين .

ولست ازعم ان هذا العمل التحليلي الخطير عمل سهل قريب المنال ، فهو يتطلب ابحاثاً عميقة في شتى نواحي المدنية العربية ، اذ ان غايته الوصول الى آخر الاحكام على هذه المدنية واعمها . فما لم تكن هذه الاحكام مستمدة من دراسات دقيقة مفصلة يقوم بها المختصون بكل وجه من وجوه هذه المدنية — كالادب والفن والعلم والسياسة والاقتصاد وفروع كل منها — فانها — اي هذه الاحكام — لاتجدي فتيلاً ، بل قد يطغى ضررها على النفع المرجو منها . ولذا فاذا حاولت في هذا الحديث المقتضب ان اشير اشارة سريعة الى بعض العناصر الخالدة في مدنيتنا العربية ، فلست اطمع في ان اقوم بما يتطلبه هذا البحث الخطير ، وانما هي كلمة تمهيدية اتوجه بها الى الباحثين في النواحي



الفرعية لهذه المدنية ، كي يبقوا هذه الغاية البعيدة نصب اعينهم ، ويتعاونوا كل من ناحيتـه ، بالدرس العميق والبحث الموجه ، حتى ينتهي الامر الى استخلاص تلك العناصر العالمية الخالدة بصورتها الصحيحة وجعلها قسماً من الثقافة الانسانية العامة .

اول هذه العناصر الخالدة في نظري ، هو الايمان الروحي الذي يشع من هذه المدنية . فالمدنية العربيـة ككل مدنية كبرى ، مستمدة من عقيدة راسخة ونظرة الى الحياة شاملة . والعقيدة الراسخة التي بنيت عليها هذه المدنية هي تلك التي احتواها وعبّر عنها الدين الاسلامي الحنيف . وليس يهمنا من الاسلام في هذا المقام ما سنّ من فروض وشرائع ، ولا ما اقام من نظم اجتماعية وسياسية ، بقدر ما يهمنا ذلك الايمان الروحي الذي اثاره في قلوب فريق كبير من ابناء هذه المدنية فجعلهم يتطلعون الى عـالم اسمى من عالمهم ، ورفعهم عن المظاهر المادية والغايات الدنية الى مراقي الروح العالية . فالحاكم المتربع على عرشه ، والقائد الجائل في ميدانه ، والعالم العاكف على كتبه ، والتاجر الضارب في الارض سعياً وراء مغنمـه — وفي مقدمتهم جميعاً العامـة من الناس الذين قلما تتحدث عنهم كتب التاريخ — هؤلاء كلهم كانوا يصدرون في حياتهم الخاصة والعامـة عن ايمان روحي ان اختلف في درجة قوته او ضعفه فلم يكن يختلف في جوهره واساسه : ايمان بالقوة الالهية التي تسيّر هذا العالم ، وبالسبيل الذي رسمته لبلوغ السعادة في الدنيا والآخرة .

ومما لا مراء فيـه ان هذا الايمان بلغ اوجـه في الايام الاولى من النهضة العربية ، وانـه كان من اقوى العوامل في توسع ملك العرب وفي قيام حضارتهم الزاهية . ثم اخذت تتسرب اليه الاطماع الشخصية ، ويطغى عليه الجهل وتراخي الاخلاق ، فخف عزمه وحدته وتسلطه على الناس وسرى الفساد الى الانظمـة السياسية والاجتماعية التي اقيمت على اساسه . ولكنه لم يزُل كله ، بل بقيت له قلوب كثيرة يشع فيهـا ونفوس يضطرم في احشائها . والان بعد قرون طويلة ساد فيهـا الضعف والفساد الناشئان عن الامراض الداخليـة كالفقر والجهل والعصبية وعن الاستعباد الخارجي ، لا يزال هذا الايمان يجيش في صدور قسم غير قليـل من ابناء المدنية العربية يثير عمقه وقوته الاعجاب والاجلال عند كل من يتأمله بتجرد واخلاص . وان من يتابـع ابحاث المستشرقين المتجردين عن الهوى يلاحظ انهم يقفون متأثرين عند هذا الايمان القوي الشامل ويقدرونـه حق قدره . ولا عجب في هذا ، فان الايمان الذي يتسلط على النفس ويوجهها الى المثل العليا مظهر من مظاهر الروح الانسانية في اعلى مراتبها .

والمهم في بحثنا الان ليس مصدر هذا الايمان والباعث له بقدر ما هو نتيجته في النفس ، والنوع السامي من الحياة الذي يخلقـه في الشخصية الانسانية . فقد لا يشارك ابناء المدنيات الاخرى المدنية العربية في الدين الذي اشاع في نفوس ابنائها هذا الايمان ، او لعـل المدنية العربية نفسها تحتاج اليوم الى موارد اخرى تستمد منها الحياة والقوة والانبعاث . ولكن هذا كله لا يمنعنـا من ان نقف معجبين بذلك الايمان الذي كان ينتشر من المدنية العربية في عصورها المثمرة ، وان نسعى جهدنا لنقتبس منه ما يشيع في قلوبنا العزم والصفـاء ، وما يرفع نفوسنا فوق توافه المادة الى مراتب الروح السامية . هذا الايمان هو بعض ما تقدمه مدنيتنا العربية السالفة لنا نحن العرب ، بل ما تقدمه للبشر عموماً مهما كان جنسهم او لغتهم ، لانه في نظري عنصر من اهم عناصرها العالمية الخالدة .

ومن العناصر الخالدة في المدنية العربية تطلع نفوس فريق كبير من رجالها الى الحقيقة الازلية في الكون : فلقد جاهد كثير من ابناء



العربية عقولهم وارواحهم للتوصل الى الحقيقة . فمنهم من اصابوا وجاؤا بالنظريات المبتكرة والحقائق التي تقدموا بها على من سبقهم او عاصرهم ، وهؤلاء هم الذين يجب ان يوجه اليهم الدرس الدقيق المفصل لنتحقق مدى ابداعهم ، ومعنى انتاجهم الفكري والروحي للبشرية عامة . فأين نحن الآن من تلك الابحاث العميقة في نواحي الحضارة العربية المختلفة ، من فلسفة ودين وفن وادب التي يمكن ان تبنى على اساسها الاحكام الصحيحة على مدى ابتكار هذه الحضارة وابداعها ؟ وما دام هذا الدرس لا يزال في مراحله الاولى وخطاه المترددة فمن العبث ان نعمم او نجزم في هذا الموضوع الخطير . ولكن حتى لو كان هذا الانتاج العربي خالياً من كل ابداع ، وحتى لو كان بعضه قد مال عن محجّة الصواب ، فان الناظر المتأمل فيه ليقتبس من مظاهره المتنوعة الغزيرة معاني الجد والطلب والجهاد الشاق المثمر في سبيل الحق . فالعلماء الذين كانوا يحيطون العلم بهالة من الاجلال والتقديس ويقبلون عليه كأنه فرض من فروض العبادة ويرحلون من اقصى البلاد العربية الى اقصاها في طلبه ، والذين خلفوا لنا مؤلفات لا تحصى في شتى المعارف والعلوم والاداب اولئك العلماء — وما اكثرهم — اظهروا باجلى بيان الفضائل العقلية والروحية التي يخلقها في النفس الجهاد في سبيل العلم ، ونشروا من طيّات مؤلفاتهم صفات الصبر والتضحية والجد والتدقيق التي يجدر بكل طالب ثقافة ان يكتسبها مها كان اصله ونزعته . والفلاسفة الذين بذلوا جهدهم في سبيل التوفيق بين مظهري الحقيقة اللذين كانا يتجليان لهم — الدين والفلسفة — والذين حاولوا المستحيل من اجل ارضاء عقلهم وروحهم معاً ، يحتلون مقامهم اللائق بهم في الموكب الانساني الكبير الممتد من ابعد عصور التاريخ الى الوقت الحاضر والساعي الى التوفيق بين العقل والروح ، بين الفكر والعاطفة ، بين الفلسفة او العلم والدين الموحى به . والمتصوفون الذين سلكوا الطريق الشاقة واجتازوا المقامات المضنية وفازوا بالاحوال العسيرة المنال من اجل الفناء في الحق يرسمون امامنا مثالا حياً للمجاهدة الروحية التي تزدل كل شيء ولا تبالي بأي شيء في سبيل تحقيق الهدف الاسمى والغاية القصوى . فمن هؤلاء جميعاً : العلماء والفلاسفة والمتصوفين وسواهم من ابناء العربية المجاهدين في سبيل الحق ، تستطيع الانسانية كافة ان تستمد معاني هذا الجهاد والصفات التي يكوّنها في النفس ، تلك المعاني والصفات الباقية على الزمان ، المرتفعة فوق حدود الجنس واللغة والمكان .

ومن العناصر الخالدة في المدنية العربية ما تكشف عنه من احساس دقيق بالجمال . فان نظرة واحدة الى الابنية التي اقامها العرب ، او الى بعض مصنوعاتهم التي اغدقوا عليها مهارتهم الصناعية والفنية ، او الى مخطوطاتهم الثمينة التي وصلتنا ، كافية لاظهار حسهم المرهف وذوقهم الرفيع وحسن تعبيرهم عن خوالج نفوسهم . وليس هذا الاحساس بالجمال وقفاً على العرب دون سواهم من الامم ، ولكنه امتاز عندهم بتعدد مظاهره ، وبتجليه في نواح معينة تفوقوا بها على غيرهم : كالتزيين الدقيق في العمارة وفي الصناعات الفرعية ، الذي جعل من الآثار الفنية العربية مظهراً رفيعاً من مظاهر الشعور الفني والتعبير الصادق ومنهلا عذباً تستقي منه الانسانية جمعاء معاني الدقة والتناسق والجمال .

ولعل هذا العنصر الفني هو في مقدمة العناصر التي وقف عليها ابناء المدنيات الاخرى ونهلوا من مواردها . فان الواقف على الدراسات التي وضعها الغربيون في هذا الموضوع ، والمتتبع للعناصر الفنية العربية في تسربها الى الفنون الغربية ، يتيقن ان الفنون العربية سبقت غيرها من مظاهر هذه الحضارة في نفاذها الى الحضارة الغربية والسير في طريق « العالمية » . وما ذلك الا لأن الاحساس الفني الجمالي



شيء يشترك فيه الناس على اختلاف اصولهم ، ولا تقف فروقهم الجنسية او اللغوية حاجزاً كبيراً في سبيل تذوقه وارتياد منهله. وهنا لا بد لنا من ان نطرق باب الادب العربي ، لان الادب ، كغيره من الفنون ، سبيل الى التعبير عن الجمال . ولقد كثر القول في ان الادب العربي ليس ادباً عالمياً ، وفي ان تذوقه لا يتعدى دائرة الناطقين بالضاد . على ان الذين يلقون هذا الحكم ينسون ان طريقة دراسة هذا الادب لم تتجه بعد الى الغاية الصحيحة ، وانها لا تزال متأثرة بالاساليب الماضية من تحليل لغوي الى استشهاد تاريخي الى ما هنالك من الاغراض الخارجة عن القيمة الفنية الخالصة ، كما انهم لا يعطون الاختلاف اللغوي حقه من التأثير في هذه الناحية . فان عامة المثقفين في الغرب لا يفهمون اللغة العربية ولا يدركون روحها وسبل تعبيرها الخاصة . والادب يختلف عن الفنون الاخرى في انه مرتبط اشد الارتباط بالتعبير اللفظي ومقيد به ، والآثار الادبية النفيسة لا ينكشف جمالها الا لمن يقرأها في لغتها الاصلية او يستطيع ان يحس بالجو الذي تنشره تلك اللغة . واني لست اشك في انه متى درس الادب العربي الدراسة التي تتقصى مزاياه الفنية دون سواها ، ومتى عمّت اللغة العربية الى المدى الذي انتشرت فيه لغات العالم الكبرى ، سيظهر لنا هذا الادب بنور جديد ، وسيجد فيه ابناء البشرية جمعاء قيماً فنية وروحية لا يستهان بها . ونحن لو اقتصرنا على الشعر الصوفي وحده لوجدنا فيه خوالج صادقة للنفس الانسانية ولتبيّن لنا ان الذين وقفوا عليه من ابناء الغرب يقدرونه حق قدره ويتذوقونه ، فيغنون به نفوسهم وارواحهم .

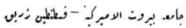
ولقد امتازت المدنية العربية بسعة صدرها وبعد افقها ، فلم تجد باباً من ابواب العلم عند امة من الامم الا ولجته ، ولا لمحت سبيلا من سبل الرقي عند جنس من الاجناس او في لغة من اللغات الا حاولت ان تسلكه ، فجاءت مدنيتها جامعة لمآثر اليونان والفرس والهنود وسواهم من قادة الحضارة في تلك العصور . ولسنا نجهل فنزعم ان اخذها هذا تمّ كله على افضل شكل ، او انها بلغت الكمال في حسن الاختيار والجمع ، ولكننا لا نتردد في القول انها بتفتيح نفسها الى نور الحق حيث وجد ، وبتنمية عقلها وروحها بما اكتسبت من غيرها ، اظهرت صفة خاصة امتازت بها عن سواها من المدنيات التي تقلصت على نفسها او لم تحاول هذا القدر من توسيع الافق والسعي الحثيث الى اختيار الافضل . وهذا عنصر آخر من عناصرها الخالدة . ونحن العرب اليوم ، اذ نسعى الى بناء حياة وحضارة جديدتين خليقون بان نعتبر بهذه الصفة التي اظهرتها المدنية العربية في ايام حيويتها وازدهارها ، فلا نقفل على انفسنا النوافذ التي يدخل الينا منها النور ، ولا نسد السبل التي تؤدي بنا الى المعرفة ، بل نقبل على الحق انّى وجد ونفتح صدورنا دون تردد او وجل الى ما سبقتنا اليه الامم الاخرى من علم وادب وفن وفلسفة . ان حياتنا اليوم كما كانت حياة العرب في الايام الاولى من نهضتهم ، بحاجة الى ان تلقح ببذور العقل والروح . ومن ميزات آبائنا الذين انشأوا المدنية العربية ان نفوسهم كانت واسعة متسامحة فأخذوا ، وبأخذهم تمكنوا في ما بعد ان يعطوا اكثر مما اخذوا وان يورثوا فوق ما ورثوا . ان اتساع الصدر وتفتيح نوافذ النفس ميزة من المزايا الخالدة عند الافراد والشعوب .

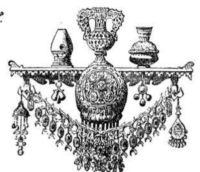
وتتحد هذه العناصر الخالدة جميعها وتصل الى غايتها ونضجها في الشخصيات الفذّة التي انتجتها المدنية العربية . ذلك ان الشخصية

الانسانية هي اسمى ما تخلقه مدنية من المدنيات . فهي تعبر اجلى تعبير عن الصفات العقلية والروحية التي تمثلها تلك المدنية . لقد ذكرنا ان كل مدنية انما تقاس بقيمة العناصر الخالدة فيها . ولما كانت العناصر في جوهرها صفات ومزايا عقلية وروحية ، وكانت هذه الصفات والمزايا لا تظهر الا في شخصيات انسانية كانت الشخصيات التي تولدها مدنية ما افضل مقياس لقيمة تلك المدنية ورقيها . فشخصيات خالد بن الوليد وصلاح الدين في الحرب ، وعمر بن الخطاب ومعاوية والمنصور في الحكم ، والمعري والغزالي وابن خلدون في عالم الفكر ، وامثالها من الشخصيات التي لا يتسع المجال لتعدادها والتي لمع بعضها وسطع نوره في الشرق والغرب ، وظل البعض الآخر مغموراً في طيات الماضي لانه لم يبرز في النواحي التي اعتادت ان تجذب انظار المؤرخين — هذه الشخصيات كلها هي اسمى ما انتجته المدنية العربية وابرز عنصر خالد فيها ، وستظل الصفات والمزايا التي تمثلها مصدراً دائماً للعرب وغيرهم من بني الانسان ينهلون منه الغنى العقلي والروحي الغزير . وهذا امر يتحتم علينا الاهتمام به اليوم في النهضة القومية التي نعمل لها . فوراء الحركات العامة التي نجاهد تحت لوائها يجب ان تقوم في اذهاننا صورة للشخصية العربية الجديدة في كيانها الامثل . ذلك ان خلق هذه الشخصية في عالمنا الجديد هو في نظري الهدف الاسمى الذي يجب ان نسعى لبلوغه ، وكل ما سواه ليس سوى سبيل اليه . فحريّ بنا اذن ان نقف عند الشخصيات الفريدة التي خلقتها مدنيتنا العربية ، وان نستلهم روح عظمتها وسر كيانها ، فيساعدنا هذا في تصوير الشخصية العربية الجديدة التي نريد ان نخلقها ، والتي على اساسها تقاس نهائياً نهضتنا القومية .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس بين القراء الكرام من يشعر مثلي بضعف هذا البحث وبنواحي الابهام والغموض فيه . واخشى الا اكون قد تعديت التعميمات المبهمة والاحكام السطحية . فان هذا الموضوع الواسع الدقيق يضيق عنه مثل هذا المقال المقتضب السريع . وانما هي محاولة تجريبية لا تقصد الى اكثر من اثارة الموضوع والتنبيه الى خطورته . فعسى ان يوافقني الكتاب والباحثون من ابناء العربية في الشعور بهذه الخطورة ، فينصرفوا الى اجلاء العناصر الخالدة في مدنيتهم الغابرة ، وادخالها في التراث الثقافي العام ، كي تصبح هذه المدنية مدنية عالمية بالمعنى الصحيح الكامل .





الفن والشعب

بقلم ج . لاسين

ثمة رأيان جوهريان لا مندوحة عن الاقتناع بهما لأي كان :

ان الفن هو في متناول كل الناس . لكن لا يصح ان تفرض قوانينه على احد . وبعبارة اخرى ليس الفن امتيازاً تختص به طبقة من الطباق ولا مما يستأثر به اهل اليسار دون سواهم ، كما انه ليس يستكمل معناه ودلالتـه الا متى اتصل بالجمهور . على ان الفن يتطلب من الجميع تفطناً وحسن تهيؤ . الفن ثمرة الاتصال بين رجل والعالم الخارجي . لذلك كانت الروائع التي يبدعها رجال الفن من كل جيل ، كشوفـاً ذات خطر بالنسبة الى الانسانية جمعاء . وليس للفن من قيمة الا في ان ينقل الى الناس كافة ، الاختبارات التي تمرّس بهـا الكبار من اصحاب الرؤى . فالرائعة الفنية اذن تعطينا امثولة في التجرد والاريحية ، وتفتح ابصارنا في الوقت نفسه على لمح من الحياة ما كانت لتخطر لنا ببال .

ان الانفعال الذي تحدثه في نفوسنا احدى روائع الفن ، يشركنا بالفكر مع سائر الناس ، ويوسع نظرنا في الدنيا . اما الذين يعيشون في ريبة وسوء ظن ، منكمشين على ذاتهم ، عاجزين عن اتيان اي صنيع ينم عن سخاء نفوسهم ، فأولئك جماعة من الخلق امسوا لا يتلقون امثولة الفن العظمى . منذ قرن من الزمان انشطر الفن شطرين اثنين : في ناحية تجد المذهب « الرسمي » الجامد على جزع التقليد النخر ، وفي الناحية الاخرى طائفة من اهل الفن يعيشون عيشاً ضنكاً ، بين جدران من عدم فهم الناس ومن الصمت الشامل . وان الطرف الفنية التي ابدعها هذا الفريق لتحمل سمات واضحة من الشروط الصعبة التي في خلالها ترعرعت ، فهي تبدو قاحلة كأداء صعبة المنال . لقد اعوزتها فضيلة الاتصال بالجمهور ، لان من يعطي يأخذ ايضاً . لقد توسلوا ، خلال هذه الفترة ، بجميع الوسائل ، كي يفرضوا على الجمهور فناً « رسمياً » لم يبق له من قيمة حقة . . فكلية « الفنون الجميلة » المغلقة دون كل ما هو غريب عنها ، والتي لا تعطي — كانها لا تأخذ — شيئاً ، ليست اليوم سوى شجرة موات ، او ستار خادع ، لكنها ما زالت في نظر الكثرة من الفرنسيين ، حقيقة الفن الملموسة . على ان الجمهور لم ينخدع بهذا الامر طويلاً ، فقد فطن منذ امد بعيد ، الى ان ذلك الفن لا يجيئه بشيء ، فاعرض عنه ، وكانت النتيجة ان اصيب الفن نفسه برشاش من هذا الامتهان ، وان زادت القطيعة بين الجمهور والفن اتساعاً . ان القول بسوء ذائقة الشعب الفنية لمن ايسر الامور ، لكنه زعم ينقضه تاريخ الفنون والاداب الشعبية من جميع الوجوه . فالحقيقة هي ان الشعب ، بعد كل ما اقترف نحوه من ضروب الخيانة والخطأ والغفلة ، اصبح ولا ذوق له البتة . فاذا وجد امرؤ نفسه في زمننا هذا ، تجاه رائعة من روائع الفن ، وهو سقيم الفكر جداً الكثرة ما عرض لانظاره من حماقات سينمائية ، ولذلك التطبيل والترمير حول البضاعة المزجاة التي تغمر سوق الفن ، لم يكن عجيباً ان يحس عجزه عن اختيار ما هو جوهري في حياته . لكن كيف تريدونه على ان لا ينخدع باساليب بلغت هذا الشأو البعيد من الغش والتدليس ؟

مر قرن ونيف قبل ان يتضح لنا انه لا يكفي ان يعطى الناس عناصر العيش المادي ، بل يجب ايضاً ان يمنحوا فراغاً واشياء يسدون بها هذا الفراغ بفطنة . نحن نكثر من الاهتمام لعلاقة الفن بالشعب ، ثم يهولنا ان كلمة الفن ومدلولها اصبحا لا يعنيان عند العامة شيئاً .

ليس بخاف على احد ان التعليم الفني في فرنسا كاد يكون في حكم المعدوم . ففي المدارس الابتدائية والثانوية يعـاملون الفن كانه عالة على الرياضة البدنية ، فهو يدرس لحاقاً ، من غير برنامج محدود ، فيلقي الاساتذة على تلاميذهم ، بطريق العرض اثنـاء دراسة التاريخ ، فتاتاً من تاريخ الفن ، ويعلمونهم مبـادئ في الرسم . لكن هذا التفريق في غير موضعـه ، لان تعليم الرسم ، مجرداً عن المعلومات التاريخية وعن اي انموذج او مثـال ، تعليم لا فائدة منه ولا متعة فيه . وهكـذا فنحن لا نلقى — اللهم الا في بعض صفوف الصغار من المدارس الاقليمية — محاولة لبيبة لانماء الذائقة الفنية في نفوس الاولاد . على ان الفضل في هذا يعود الى مبادهة جريئة عند نفر قليل من المعلمين ، ليس غير .

مع ذلك ليس عسيراً جد عسير ، ان يعم هذا التعليم منذ دخول المدرسة ، ثم يستمر ويكتمل طوال عهد الدراسة ، اياً كان نوعها . أليس في وسع التصوير الشمسي والعرض السينمائي ان يكسبا الطلبة انطباعات ثابتة ودقيقة ؟ اليس من المستطاع تعريف الاولاد الى محاسن وطنهم ، ولا سيا روائع بلدهم ؟ اليس في الامكان ان يعطى كل تلميذ تعليماً بالامثلة ، وان يستعـاض عن تلك الالعاب الحمقاء التي يبالغ في العناية بها في جميـع المعاهد التعليمية ، بتثقيف صناعي يكون من شأنه ان يوقظ في نفس كل واحد من الصغار ذائقته واستعداده الفطري ؟

اما في الدراسة الثانوية والعليا ، فهل يصح ان لا يشمل اي نوع من انواع الثقافة العامة معارف اولية من تاريخ الفن ومن الفنون التطبيقية ؟ على ان هذا هو واقع الحال في عصرنا ، اذ في ميسور المرء ان يصبح محامياً او طبيباً او مهندساً ، وهو يجهل حتى اسم رآفايل .

ج . لاسين

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاجنحة في القتال

كل يوم يمر تزداد فيه مناعة القوة الجوية البريطانية، واذا كانت كمية الطائرات الحليفة تضاهي اليوم كمية الطائرات العدوة وتفضلها نوعاً فلن يعتم الامر حتى يملك الطيران البريطاني والاميركاني زمام جميع الاجواء بتفوق عظيم. فالمصانع الاميركانية والبريطانية تدأب على الانتاج بنشاط لم يكن بالحسبان.

ومما لا شك فيه ان السرعة التي يسلكها تطور فن الطيران الحربي يوجب على المهندسين والاختصاصيين العمل بدون انقطاع لانشاء انواع جديدة من الحركات الجوية تفوق ما لدى العدو منها. فسيادة الجو ترجع الى المحارب الذي يملك اسرع طائرات الطراد واحسنها تسلحاً، والقاذفات الثقيلة التي تستطيع حمل اطنان من القنابل لقذفها على اهداف تقع احياناً على بعد مئات الكيلومترات من مطاراتها. ولئن يكن الطيارون يجاهدون في السماء، ويقاتلون في سبيل بلادهم، فالمهندسون والاختصاصيون والعمال لا يقلون عنهم مساهمة في المعركة بانشائهم الانواع الجديدة من طائرات القتال.

وقد علمنا من الانباء الواردة الينا من الدول المتحاربة ان سلاح الطيران الملكي البريطاني يملك من طائرات القتال ما يستطيع اجتياز ٦٥٠ كيلومتراً في الساعة، وان الاميركان ينشطون في بناء طائرات قذف حمولتها مئة طن تستطيع الطيران من اميركا الى اوربا ذهاباً واياباً.

وفي ميدان الطيران المطارد، يجب على المهندس البناء ان يرسم وينشيء طائرات من السرعة بمكان عظيم، وان يسلحها بحسب ما تقتضيه الحاجة والمهمة، بمدفعين او باربعة مدافع او برشاشات يراوح عددها بين ست وعشر. ويجب عليه فوق ذلك ان يعمل على وقاية الطيارين والمحركات بطريقة التصفيح. وهو لا يتوصل بدون مشقة الى التوفيق بين هذه الموجبات ومبادىء البناء اي الى عدم التضحية بسرعة الطائرة لاجل تسلحها ووقايتها، والى اعطاء المحرك مزايا الثبات والمرونة المرضية. وبكلمة يجب عليه انشاء اداة قوية وسريعة وحسنة التسلح قد يقودها رجال لم يتوافر الوقت الكافي لتدريبهم، متعبون او جرحى احياناً.

ولنلق الان نظرة سريعة على طائرات الطراد الجديدة التي انشأتها المصانع الانكليزية ويستخدمها سلاح الطيران الملكي.

في اواخر العام ١٩٣٩ كان لدى الطيران البريطاني طرازان ممتازان هما «السبيتفير» و«الهوريكن». وكل من هاتين الطائرتين مسلحة بثمانية مدافع رشاشة قطرها سبعة مليمترات وستة من المليمتر. فواجهها الطيران الالماني بطائرات قذف من طراز «هنكل ٣» مجهزة بخزانات تحقن من تلقائها، وبتصفيح خفيف لوقاية الطيارين من نيران القانصات البريطانية.

واستخدم فوق ذلك طائرات «مسرشميت ١١٠» وهي ذات محركين سريعين ومسلحة بمدفعين عيار كل منها عشرون مليمتراً، وباربع رشاشات عيار كل منها ثمانية مليمترات.

على ان هذا الرد ما لبث ان اعطى ثماره، فقد لاحظ الطيارون البريطانيون منذ بدء العام ١٩٤٠ ان تدمير الطائرات الالمانية يزداد صعوبة وان سلاح «السبيتفير» و«الهوريكن» اضعف من ان يخترق الصفحات التي تغطي الخزانات وتحمي المحركات والطيارين.

وعندئذ ادخلت مصانع «هوكر» التي صنعت الهوريكن تعديلا على هذا الطراز الاخير واخرجت «الترنادو» و«التيفون». والترنادو هو كالهوريكن مجهز بمحرك رولز رويس قوته ١٨٨٠ حصاناً وسرعته ٦٨٠ كيلومتراً في الساعة. ويشتمل تسلحه على ثلاثة مدافع عيار كل منها عشرون مليمتراً وثماني رشاشات عيار كل منها سبعة مليمترات وستة من المليمتر. وهو تحسن عظيم بالقياس الى «الهوريكن» القديم الذي لم يكن مسلحاً بسوى ثماني رشاشات. ثم ادخلت مصانع هوكر تعديلا آخر على هذه الطائرة وانشأت طرازين يختلفان بالتسلح احدهما «الهوريكن ٢ ج» وهو مسلح باربعة مدافع تطلق مجموعة ٢٤٠٠ اطلاقة في الدقيقة، والآخر «الهوريكن٢ ب» وهو مسلح باثنتي عشرة رشاشة قطر كل منها سبعة مليمترات وستة من المليمتر، وهذه الرشاشات الاثنتا عشرة تطلق مجموعة ١٤٤٠٠ اطلاقة في الدقيقة.

وادخلت «شركة فيكرس سوبرمارين» من جهتها تعديلا محسوساً على طائرة «السبيتفير» فقد قلم جناحاها واستعيض عن محركها القديم ذي الـ١١٤٥ حصانا بمحرك جديد ذي ١٦٠٠ حصان بحيث اصبحت سرعتها ٦٥٠ كيلومتراً في الساعة. واستعيض عن الرشاشات الثمانية المركزة على الجناحين بمدافع شبيهة بمدافع «هوركن٢ج».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عودة الجنة

بقلم : الياس ابو شبكة

جذبتني رعشة الصقيع الى فراشي في ساعة مبكرة من آخر ليالي كانون المنصرم ، بعد ان ملأت مخيلتي من اخبار السياسة والحرب . ولم يكن من مألوف عادتي ان اقرأ في فراشي ما يقوله اقطاب السياسة او رجال السيف ، فالحكماء ورجال الفن سمّاري كل ليلة أتتني بانوارهم شقاء الدنيا ربما يجزيني الله لذة النعيم في الآخرة . على ان ربة النعاس ابت ان احرم في النوم ما حرمته في اليقظة فما كادت تمسح جفنيّ حتى اعادت اليّ سمّاري فرأيت الشاعر الضرير ملتون ينحدر اليّ من ربوة خضراء في رواق محبوك بأزهار الجنة ، بالقرنفل والياسمين والحنّا ، ورأيت في يده سفراً مرصعاً بيواقيت لا عهد بمثلها لمناجم الارض ، ثم رأيت هذا السفر الكريم ينفرط دنيا من جمال ما نظرت مثلها عين ولا سمعت بمثلها اذن . رأيت حدائق تنتشر كالأبخرة الخفيفة وفي كل منعطف منها خيمة مضروبة على اعمدة من رخام مموّه بالذهب مترّل بالجواهر . ورأيت الفجر خيالاً مجنّحاً يخيم على هذه الحدائق ناثراً عليها لآلئ شهباء بيضاء كزغب الحجل ونثار القرنفل . وفي كل حديقة شفرة من الكوثر ينعطف لبنها على جميع الغراس ساقياً كلا منها بحسب قوته . ثم رأيت الصباح يتناول من الشمس اسلاكاً وردية منقطة بالندى ويطرحها على البقاع المستيقظة فتضحك عن وهج فاتر دافىء كالحب حين يترجج بالحنان .

ورأيت ... رأيت صور الله تمرح في الظلال الهانئة كأنها لا تشقى في تعهد ما اسبغ عليها بارئها مقدار ما تحتاج التربة من الجهد لتجعل الراحة اعذب واصفى . ورأيت البهائم وقد ألفت الانسان على مختلف اجناسها تسرح هانئة مثله في المرتع السني ، فالذئب يلاطف النعجة بانيابه ، والاسد يلاعب بمخالبه الافعى ، والنمر والضبع والدب وسائر السباع تثب وتطفر مع الارنب والحجل والغزال والايل ، والفيل الساذج الطيب القلب يستعين خرطومه في ابتداع الالاعيب وفنون الحيل ليزيد البهجة في مراتع الطير والماشية .

وفيما انا اسرّح قلبي على هذه الجنان السعيدة رأيت كأن سياجاً من الشوك يرتفع كالضباب مزنّراً حدائقها من كل جانب . ثم رأيت صورة من صور الله ممسوخة حالت عليها النعمة الى نقمة تتسلق السياج الشائك باحثة عن منفذ الى الجنة ، واذ لا تهتدي الى هذا المنفذ تثب وثبة جبارة وتهبط من اعلى السور الى الصعيد المعطّر كذئب يلح به الجوع فيغير على القطيع في حظيرته . وما كدت أفيق من ذعري حتى بصرت بهذا المسخ يسرح بين خلائق الجنة ويمرح وقد اصبح كأنه واحد منها ، تارة هذا وطوراً ذاك ، حيناً نعجة وحيناً ذئباً ، حيناً بهيمة وحيناً انساناً وفقاً لمقاصده الذميمة وخبث مراميه . ثم سمعته يخطب في صور الله قائلاً : « لقد جئت اعقد معكم محالفة صداقة متبادلة من القوة والمتانة بحيث لا ألبث ان اعيش معكم او تعيشوا معي . فالجحيم الذي اقطنه مستعد لان يفتح لكم ابوابه ويرحب بكم على السنة امرائه وملوكه . والجحيم يتسع لذراريكم بخلاف هذه البقاع الضيقة . في الجحيم عالم جديد لا عهد لكم بمثله! خيرات نقتسمها فيما بيننا اين منها خيرات هذه البقاع ، وجمال نرتع في بحبوحته اين منه جمال هذه المغاني ! .. »

* * *

وفيما المسخ يتكلم رأيت الامد يهتز ، وكالاغماضة اخذت الجنة تغيم وتشحب ثم تلاشت وراء سياج الشوك ، ورأيت ... رأيت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر شكسبير ينحدر اليّ من هضبة في الدانمارك وفي يده كتاب اعرفه ولي عهد به . ثم رأيت هذا الكتاب ينفتح عن مرجة يابسة ترعى فيها نعاج عجاف، وبصرت بالمسخ ينصت وراء الاشواك كاللص مصغياً الى حوار يدور بين هملت وامه .

قالت الملكة : هملت ، لقد اهنت والدك .

فقال هملت : امي ، لقد اهنت والدي .

فقالت : اتنسى من انا يا هملت ؟

فقال : لا وحق ربك ، فانت الملكة ، انت زوجة شقيق زوجك ، وانت امي . .

فقالت : لدي من يستطيع ان يرد عقلك اليك .

فقال : لا تتحركي من مكانك. اريد ان ارغمك على ان تنظري الى نفسك.

فقالت : اتريد ان تقتل امك يا هملت؟

فقال : بل اريد ان اعذب قلبك. ألكِ عينان ؟ لقد هبطت من القمم لتتمرغي في المستنقعات . ألكِ عينان؟ كنت على سرير ملك فوطئت سرير مملوك، سرير قاتل جبان سارق عروش وتيجان .

فقالت : لقد شطرت قلبي الى اثنين ، يا هملت .

فقال : اطرحي عنك الشطر الردي، يا امي ، وعيشي نقية بالشطر الآخر !

وفي هذه الآونة هبت ريح من الشمال عقبتها سحابة غبار رأيت فيها المسخ وقد ارتدى لباس الملك يقول لهملت ساخراً: « انك لا تزال في الغيوم يا هملت» ! فيجيبه هملت : « لا ، يا ذا الجلالة ، بل انا قريب من الشمس ! »

فسمعت ضحكة رجيمة تخللتها شهقة عميقة كأنها صادرة من كهف في الوادي ، ورأيت . . . رأيت خيالا ينتصب بين الارض والسماء وعلى اساريره الغائمة سحابة غضب مموّه بألم عميق . وسمعت هذا الخيال يقول :

— انتقم ! . . . لقد دس المختلس لي السم في ليلة قمراء وانتزع مني حياتي وتاجي وزوجي . انتقم يا هملت ! ولكن لا تلطخ قلبك بما لا يجدر بقلبك ويدك . لا تدع نفسك ترتكب اثماً بحق امك بل خل الاشواك التي في قلبها تعاقبها وتشقيها .

* * *

واهتز الامد من جديد، وكالاغماضة رأيت بقاعاً حمراء قرمزية وعلى الهضاب وفي السفوح والاوديه قبور مبعثرة، واسلحة محطمة، وعهود ممزقة ، وجثث مشوهة ، ودم ! ومن هذه المقبرة الرهيبة سمعت اصواتاً تقول : « باد صوت الطرب وصوت الفرح ، صوت العروس وصوت العروسة ، صوت الرحى ونور السراج ، وصارت الارض كلها خراباً ودهشاً ! . . »

ورأيت . . رأيت المسخ يغمر هذه البقاع بجناحيه المعضلين ويضحك ضحكاً رجيماً ، فعرتني رعشة أيقظتني على سقسقة الجدول تحت نافذتي . وقبل ان انهض من فراشي تناولت « الفردوس المفقود » من تحت وسادتي وكتبت في ذيل صفحته الاخيرة قول النبي زكريا : « بل يكون زرع سلام ، فالكرم يعطي ثمره ، والارض تعطي اثاءها ، والسماء نداها ، وأورث بقية هذا الشعب كل هذا . ويكون انكم كما كنتم لعنة في الامم كذلك اخلصكم فتكونون بركة، فلا تخافوا ولتتشدد ايديكم . »

وكتبت تحت هذا الكلام قول ارميا : « واعطيكم رعاة حسب قلبي فيرعونكم بالمعرفة والفهم » . وخرجت الى الشرفة استقبل الصباح فرأيته ينفرط عن دنيا من جمال ما نظرت مثلها عين ولا سمعت بمثلها اذن ، رأيت المياه تتدفق من الهضاب وتنتشر جداول وبحيرات ، وبصرت بالطيور تأوي الى عشاشها المكللة بزهر اللوز ينبثق من براعمه ، والانسام الناعمة البليلة تنفث عطور الارض ، والغراس تلفها الكرمة بأعراقها وتحضنها بمحبة وحنان .

ورأيت . . . رأيت الجنة تعود !

الياس ابو شبكة

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

ابطال المسرح في التاريخ

ساره برنار في «ري بلاس»(١)

ليكن لك هدف اسمى في الحياة . وليكن لك الى جانب هذا الهدف الاسمى اهداف اخرى او مصالح تحول بينك وبين التعصب والمحاباة . – احصر فكرك في جوهرك . – ودع جانباً ما ليس بجوهر فيك . – اهتم موقتاً بجميع ما يقع حولك من الحوادث ولكن لا تبالغ في ذلك . كل ما يحلو لنفسك ومتى يحلو لك ذلك ولكن لا تأكل مقدار ما تستطيع . – اشرب كثيراً من الماء ومن عصير الثمار . – نم عند ما تكون تعباً وحيثما تشعر بتعب . – خذ لنفسك قسطاً من الراحة مرات متعددة في النهار ، فهذه الراحات القصيرة تطيل عمرك . – امتد الى ميلك وانظر الى العمل كلذة لا كقصاص .

هذه الوصايا العشر وضعتها الممثلة الكبيرة ساره برنار ، وقد سلكتها جميعاً في حياتها الطويلة او بالاحرى في شبابها الطويل الذي عاش ثمانين ربيعاً .

وساره برنار التي أجمع العالم على انها اعظم ممثلة انجبها عصرها كانت أعظم داعية للمسرح عرفتها العصور . فقد طافت العالم من اقصاه الى اقصاه ، وصفق لها العالم من اقصاه الى اقصاه . وكانت معبودة الشعراء . قال تيودور ده بانفيل يصفها في ريعان شبابها : « وجهها الذي يعيد صدف البحار الى الذاكرة وجبينها الضيق بشرته الطرية اللاعة ، وحاجباها المتقاربان الكثيفان في منرس الانف ، وعيناها المؤنتان بزرقة مشبعة ، المشقوقتان الفاترتان الا اذا احتدمت فتستفيقان وتبرقان كماستين سوداوين ، وتلك الحدقة المتناهية في الدقة تبدو حين تقول الممثلة كلمة تهكم كأنما تنطلق من العين وتخز ، وانفها العبراني يستمد الجاذب من الارنبة الملجمة ، وكأنه يرتفع بتلك الحدبة الفائقة في وسطه ومعناها شعر وكفاح ، وذقنها الجازمة ، وفمها الحلو ذو الشفتين الحمراوين الرقيقتين المنفرجتين عن سدد جميل هائل من الاسنان البيضاء ! . . .

وقال ادوان بريسون عندما رقدت الى الابد في تابوتها المصنوع من خشب الورد : « بقيت ساره حتى في شيخوختها عزيزة على المعجبين بها ، فذراعاها احتفظتا بطلاوة الايماء الجميل وظرفه ، وبقيت عيناها تشعان بأنوار تستحم فيها اروع الاخيلة وكان صوتها الذي افقدته الاعوام قليلاً من معدنه الرنان يستعيد على حين غرة كل نقاوته اذا لم نقل كل قوته لينشد اشعار راسين . ولم يسبق لها ان طلبت الشعراء كما كانت تطلبهم في آخر ايامها فهي مدينة لهم بأجمل انتصاراتها وهم مدينون لها بشهرتهم . وأي حرج على شعرهم اذا كان ضعيفاً فله من صوتها ضمان ، ويكفيه ان يمر بعبقريتها ليصير جميلاً . »

ولساره برنار فضل كبير على الحركة الادبية في عصرها وعلى كثير من رجال المسرح الاحياء في فرنسا . قال الشاعر الممثل مسيو رينه فوشوي في محاضرة القاها لاعوام خلت في جامعة « الانال » يتحدث عن اول عهده بالممثلة الخطيرة : « ذات يوم ، وكنت طالباً بائساً ، دخل علي الى غرفتي الصغيرة في حي مونمارتر صديقي دوريفال ، وكان وقتئذ في الاوديون وهو اليوم من اقدر الممثلين في الكوميدي فرانسيز كما تعلمون ، وقال لي : « يجري اليوم في مسرح ساره برنار تمرن على مسرحية جديدة لمؤلف سيرانو (ادمون روستان) . وقد اخبرني صديقي لارماندي الذي دعوته اليوم الى الغداء ان ثمة دوراً صغيراً لم يسند بعد الى احد . فتعال معي اعرفك الى لارماندي ، وبعد الغداء تذهبان معاً ويقدمك الى ساره برنار ، فاذا قبلتك وقبلك ادمون

---

(١) Ruy Blas مسرحية شعرية لفكتور هوغو .

روستان ينفسح لك السبيل الى خلق دور صغير في « فرخ النسر » اسم المسرحية الجديدة ويتوقع لهذه الاخيرة نجاح عظيم . واكبر الظن انها ستبقى طويلاً على المسرح فتؤمن على حياتك المادية بضعة اشهر . »

« وفي الطريق قال لي دوريفال ان ساره برنار تحب الرجال الطوال . واذ كنت متوسط القامة دخلت على مخزن احذية واشتريت حذاء عالياً . وفي نحو الساعة الثانية ادخلني لارماندي الى مسرح ساره برنار ، وكان الممثلون مشتتين في كل ناحية بعد انتهائهم من التمرن على الفصل الاول ، ومرت بنا ساره برنار فاستوقفها صديقي الجديد وقال لها : « مدام ساره ، اقدم اليك رفيقاً لي يسعده ان يمثل دور الكبيتان . » فقالت : « من ؟ هذا ؟ صاحب هذه اللحية الكبوشية ؟» وكنت يومئذ احمل لحية جميلة فحنيت رأسي قائلاً : « سأحلقها يا سيدتي » . فقالت : « اتبعني ، يجب ان اسمع صوتك » . فتبعت الممثلة الشهيرة الى مقصورتها ، وما كادت تدخل حتى ارتمت على مقعد مستطيل بين جلود بهائم ونفخت نفخة مستطيلة كأنها تصرف ما بها من التعب . وبعد قليل دخل ادمون روستان وفي يده اوراق وجلس على مقربة . وفيما هي تتناول قدح عصير طلبت مني ان اسمعها اشعاراً ، ففعلت . وما كدت انتهي حتى قال لي روستان : « لك صوت جميل يا سيد . » فقالت ساره : « نعم ، ولكنه يشد كثيراً على الكلام . » فقلت : « سأشد اقل يا سيدتي . » فنادت امين سرها وقالت له : « سلم دور الكبيتان فوربيتي الى السيد ؟ . » فقلت : « فوشوى » . »

وقال جول تروفيه في فصل عقده عن ساره برنار في الجزء السادس عشر من مجلة « كونفيرانسيا » لعام ١٩٣١ انه يتمنى ان يتمكن كاتب من ان يوضح لنا في كتاب يضعه عن حياة ساره برنار العاطفية كيف ان هذه الممثلة التي تمردت على جميع من احبها كاميل ده جيراردان والمرشال كانروبير واميل اوجيه واسكندر دياس الابن واميل بيرن وسواهم ، كيف انها كانت تذعن كالنعجة الوادعة لاية اشارة او لاية عبسة تصدر عن الانكليزي جاريت ، وهو رجل ضخم الجثة كان يحتذي حذاء غليظاً كالقروبين ويرتدي قماشة سميكة سواء في الشتاء او في الصيف . فجاريت هذا هو الرجل الوحيد الذي عرف كيف يخضع لمشيئته تلك التي كانت تباهي بأنها لا تخضع لاحد ، الرجل الوحيد الذي استطاع ان يكبح جماح ساره برنار .

حان لنا الان ان نعرض لمسرحية « ري بلاس » التي وضعها فيكتور هيغو شعراً وتفوقت فيها ساره برنار تفوقاً لا عهد بمثله حتى للممثلة الفرنسية الاخرى راشيل التي احيت في القرن التاسع عشر ما اهمل من روائع القرن السابع عشر ، من روائع كورنيل وراسين .

كان « ري بلاس » ، باور كارلوس الثاني ملك اسبانيا ، يحتل مكاناً مرموقاً في البلاط وقد منحه الملك لقب دوق دوليدو ثم اسند اليه رئاسة الوزارة . وكانت الملكة دونيا ماريا ، الملاك والشيطان ، على حد قول فيكتور هيغو ، تحب ري بلاس لانها . . تحبه اولاً ولانه كان يسعى لانقاذ العرش الموشك على الانهيار . ففي احد الايام كانت دونيا ماريا مختبئة وراء الستر تصغي الى ري بلاس يؤنب الوزراء على « نهبهم البيت » ويعدد لهم التدابير التي يجب اتخاذها لانقاذ اسبانيا من السقوط . ولما صرف ري بلاس وزراءه خرجت الملكة من بين الستر تشع عيناها بالاعجاب وبعاطفة اعمق من الاعجاب . وما ان تحول ري بلاس فرآها حتى جمد في مكانه مأخوذاً فقالت له :

– لقد احسنت بالترامك هذه اللهجة ، فدعني اصافح يدك الوفية .

فقال ري بلاس : أكنت هنا يا سيدتي ، تسمعين ؟

فقالت : نعم يا دوق ، سمعت كل شيء . كنت اسمع بقلبي وروحي .

فقال ري بلاس : هذا المخبأ . . لم يخطر لي وجوده في بال .

فقالت : ولا يشعر به احد ، فقد حفره فيليب الثالث في هذا الجوار ليختبئ فيه فيسمع كل شيء . ولكم رأيت كارلوس الثاني في هذه الحفرة يتسمع الى وزرائه ينهبون خيراته ويبيعون الدولة .

فقال : وماذا كان يفعل ؟

فقالت : لم يكن يفعل شيئاً ، بل يذهب الى الصيد . اما انت فما يزال صوتك الغضوب يدوي في اذني وشرر عينيك يتطاير في عيني . وقد خيل الي انهم ركعوا كلهم ولم يبق واقفاً سواك . ولكن . . . كيف قدر لصوتك ان يتكلم كما يجب على الملوك ان يتكلموا ؟ ولماذا كنت هائلاً وعظيماً كالله نفسه ؟

فقال : لاني احبك . لاني اشعر بأن ما يريدون هدمه سينهدم عليك . ولاني اذا انقذت العالم انقذتك . سيدتي اني افكر فيك كما يفكر الاعمى في النور .

فقالت : تكلم ، اكمل ، لم اسمع من احد ما اسمعه منك . فأنا بحاجة الى عينيك ، بحاجة الى صوتك . آه كنت اتألم . كنت . . ولكن لا ، لا يحسن بي ان امضي في الكلام بهذه السرعة . يا لشقوتي .

فقال : اكملي يا سيدتي . انك تملأين قلبي .

فقالت : اذن فاسمع ، سأقول لك كل شيء . وما همني ؟ فالقلب اذا غرق انكشف عن كل ما يخبئه . كنت تهرب مني وكنت اسعى وراءك . فكل يوم اجيء الى هذا المخبأ لاسمعك ، لانهم كلماتك فانت في نظري وفي قلبي الملك الحقيقي ، السيد الحقيقي ، وقد اصعدتك ، بدون ان تشعر ، جميع الدرجات التي توصل الى القمة . فالمكان الذي كان على الله ان يضعك فيه وضعتك فيه امرأة .

فركع ري بلاس وهو يغمغم : سيدتي . .

فقالت : دون سيزار ، اني اهبك روحي ، وان اكن للجميع ملكة فلست لك سوى امرأة . »

وقد قال الناقد المسرحي فرانسيسك سارسي في حديثه عن دور الملكة الذي مثلته ساره برنار : « كان صوتها يندلق حول هذه الكلمات كالزبد ويغمرها من غير ان يترك اية منها تسقط من مجموع الجمل . . . اجل ، من لم يسمع ساره برنار في ري بلاس ، من لم يسجل في مخيلته تلك الموسيقى العذبة ، من لم يسمعها تقول : « كنت تهرب مني وكنت اسعى وراءك » . لا يعرف سحر الصوت البشري . »



ثالات

الجنية البيضاء

بقلم الياس خليل زخريا

... وتقف العربة الزمردية على ارض الجنة في الناحية اليمنى من وادي العقيق عند شطوط نهر الكوثر بين جبال الشمس واغوار النجوم ...

وتصهل الخيول بخناجر العاج وينزل السائق يقرع الرتاج الجبار ثم يعود ليفتح باب العربة فتخرج الجنية البيضاء وتمشي في الكهوف المسحورة، تسرب الخواطر المتوافدة في مسارح وممرات الذاكرة.

.. أنى تمشي هذه الجنية المجنونة ؟؟ .. ها هي الجنة .. بمغارق الاساطير ومغاور الحكايات ... يا له من رتاج عظيم، مطرقته زبرجدة ضخمة ومساميره حجران الياقوت، عُرق بذوب المرمر وماء الشمس وحب الكواكب..

اقرعي يا جنية، لعل هذا الحارس النائم يستيقظ من نومه البعيد.. ان السمع في البلاد العالية أخو الصمم والاذن الواسعة اخت الضيقة ...

وتفتح طاقة الباب على كر سلاسل الليل وفك حلقات الدهور المتكدسة وتدخل الجنية من بين الطيوف والاشباح المنتصبة كما تدخل الفكرة في غرف البال، وتنحني على الحارس المطمئن النائم تقبل جبهته وتسارره.. فيصحو.. ويخرجان الى الممر الاعلى على المفرق المشرق عند بقاع النور، ويستقلان العربة ذات الخيول الصهالة المطهمة والعجلات المجنحة، فيسريان الى الوادي العميق على جناحين ابيضين من خطف الثلج ولمح الازباد.

لنترك الجنة فلم يبق لنا فيها الا الباب والحارس ودخان الايام ولننزل الى الوادي عند صهاريج العطش والشوق نرد البئر التي لم يشرب منها انسي بعد.

وتصهل بنا الخيول في الازلاق وتستهيج العربة ونحن في بحران كبحران العشايا عند انطفاء مصابيح النهار.

.. وترفع قدمها الناصعة فيقبلها بشفتيه كما تقبل الوجوه السنية وتمد يدها الموردة فيمص دفأها كما تمص الشفاه سخنة الشفاه.

وتسأله عن قدماء سكان الجنة فيؤكد لها انه لا يعرف غير فيء رتاج ضخم وبساط ممدود لا يهترئ وقنديل عتيق لا ينطفئ وخابية عطشى لا تمتلئ ونافذة لؤلؤ مسحورة تدخل منها اليه الجنيات في الليالي المطمئنة.

.. وانه وهو حارس الجنة لاجهل المسافرين باعماقها لان هذه الرؤيا التي رآها ذات يوم، الشبح الهائم ابن الطوفان وجنين الايام السبعة، انما هي حلم مر في بال الآلهة السكارى فنصبوا فيه السرادق للطيوف المهاجرة من لهث الارض الى جبال الزرقة.

انه لبواب قديم لرتاج قديم في حرمة حدود ما شق مسالكها وهم عينه.. يسهر وينام وينزل الى وادي العقيق في عربة او غير عربة ومع حورية او جنية بيضاء ثم يعود ساعة يعود فلا يسأله احد ولا يرى احداً ويتمنى لو يلمح احداً.

وتمد قدمها فيقبلها ثم يسأل: أين مقالع الجنة ؟؟ وهو حارس الرتاج.. فتضحك الجنية البيضاء وتمد شفتيها القرمزية.. ترى حقاً اين هي الجنة ؟.

هوذا الصباح يكاد يميل بعجلات العربة والخيول تصهل بخناجر اللؤلؤ والسائق يشرع مصراعي الباب فيخرج حالمان مبهمان يحطان عند بئر وادي العقيق في الصوب الاعلى لنبع الكوثر حيث تنام الشموس التعبة من الدوران والتنقل.

انا غير عطش.. اشربي وحدك يا جنية. اني اخاف هذا العصير الابيض الروي، اخاف الماء جداً. وهذه البئر المهجورة مملوءة بالافاعي السود والضفادع الزرق.. وانت تمصين السم مص الندى. لقد علمتك جدتك الساحرة بعصاها الساحرة كيف يحتسى السم. اما انا فبداية النهاية ونهاية البداية. ترى كيف يولد الناس ثم يموتون ؟ ما الذ شهوة الموت لو لم تكن حياة..

.. وتضحك الجنية البيضاء. وتمد شفتيها القرمزية..

لقد عطشت الخيول وهجمت على البئر الطافحة فمدت الافاعي رؤوسها واشرع السائق سوطه ودار العراك.. والجنية تبتسم كأن



وعة وادي العقيق بقايا حلم في الصحراء على رمال الجزيرة الموحشة..

ثم تسقى الخيول العطاش عطش السم وتبح حناجرها وترتخي اعناقها، وتبلع الثعابين السائق العنيد من قمة رأسه، ويرتفع صليل الافاعي وخضخضة الضفادع.. ويقتحم الحارس عباءته الزرقاء يلف الجنية متسلقاً دروب الرياح واعمدة النور الحائر.

اين هو الرتاج الجبار ؟؟

.. ويضرب الحارس رأسه ندماً. لقد انكسرت الخابية الازلية وانطفأ القنديل الدهري واختفى البساط الناعم وتوارت الجنية المجنونة وغرق ذلك الرتاج الجبار في فجوات وهم الخاطر فلم يبق من الحد المحرم الا رماد الطوفان.

ترى اين هو الرتاج الذي قرع بالزبرجد ومن اقتلع مساميره وغرز محوره وركزاته ؟؟ اين هي تلك العتبة الضخمة التي كانت تعشش في سفحها الشموس ؟

.. عفواً .. لسنا في وادي العقيق ولا في الجنة وانما نحن في الطوفان في زورق نوح نضرب الجلد الازرق بالمقاذيف القاسية فيغور الماء في عب السماوات وتجف المخيلة الخصبة ويبني الملائكة الابراج بينهم وبين الملاحين التائهين ويزرع الضمير الموروث، هذا الحارس، زرع الظن حتى تأتي في قمراء الليل جنية بيضاء مجنونة وعربة وسائق وخيول مطهمة وتحمله الى صهاريج الاوداء تسمعه صلصلة الثعابين فيشتهي الموت والولادة ثم يعود من بلاد الغربة فلا يجد الرتاج لان الارض الموعودة قطعة عامرة في باله وحده قلبتها يد الجنية العابثة فكسرت بلور حدودها على صخور الريبة.

ما اعظم الوهم ! ان حواء المتمردة قالت لآدم : لنخرج من هنا الى عباب الظلمة وأوكار الافاعي. لقد ضاقت الجنة كلها، بي وحدي. اخلع هذا الرتاج الجبار، اخلعه ولننزل الى بئر الثعابين في قعر الوادي المسحور حيث لا تصحو الفصول صحوة. لقد اشتقت التراب..

.. ويستيقظ الحارس. احبذا لو ينام ابداً فلا تتزعزع الحدود ولا يضل هذا الفكر، العس المعربد، مع طواف الجنية.

وغداً في يوم الرعد سيخرج نوح بفلكه مرة ثانية من وحشة خلجان الشرق مبحراً في الطوفان الهائج يحمل بذرة الحياة. فيمسحه الجلد بيده ويزهر غصن الزيتون في فم الحمامة ثم تغرق المياه في الابد المعتم، وتبدو نوانيء الطمأنينة ويجد التائه الرتاج المقدس الذي سقط عن اكتاف خياله في الليلة الهوجاء.

وانت ايتها الجنية البيضاء التي لمها الوضح عن اجفان رفيقها النوتي التائه في وادي العقيق، لمّ حروف الليل معاني الشموس، ادفعي جناحك في مطالع الوادي. ان الذي قبّلت جبينه يوماً اضاع لون الجنة ومطرح الرتاج.

* *

كان لي في قلبي، جنة وحارس ورتاج، فشربت من صهاريج الثعابين واعتدت السم فحطمت في لذاذات الليل عربتي الزمردية وشردت خيول ضميري وذبحت السائق اخا الفكر ثم حملت بجناحيّ الجنية البيضاء ورنقت بعيداً، فغربتها عني ابعاد الليل.

ها انا وحدي في المعابر الضيقة عند وادي الكوثر بجوار الصحراء اموت عطشاً الى حبة ماء...

اين هي الجنة؟ لقد تهدم في صدري رتاجها الجبار.

الياس خليل زكريا

الحركة الفكرية في اميركا الجنوبية

وعدنا القراء في الجزء السابق بالتحدث في هذا الجزء عن الحركة الفكرية في روسيا . ثم رأينا ان ننجز الحلقة التي افتتحناها بالتحدث عن الحركة الفكرية في العالم الجديد على ان ننتقل الى روسيا في الجزء المقبل .

« الاديب »

●

لا يرجع عهد الادب الارجنتيني الى اكثر من قرن . فقد ولد في روائع الكاتب « استيبان اشيفيريا » الذي مكث في اوربا ردحاً طويلاً من الزمن واشرب في روحه الثقافة الاوربية والفرنسية منها بوجه خاص . على انه لم يطبعها في ادبه ، بل عرف ان يبقي لهذا الادب طابعه الارجنتيني الصرف مما حمل الدكتور ريكاردو روخاس على القول بان « الشجرة الفرنسية التي نقلت الى الارجنتين اعطت ثماراً تختلف كل الاختلاف عن الثمار التي كانت تعطيها في تربتها الاصلية . »

وريكاردو روخاس هو مؤلف « تاريخ الادب الارجنتيني » في اربعة اجزاء ضخمة . على انه وقف في دراسته عند مفتتح هذا القرن ولم يتكلم عن الادباء الاحياء ذاهباً الى انهم قد ينتجون ما يبدل رأيه فيهم . اما الادباء الاحياء فينقسمون الى اثنين احدهما تأثر بالادب الفرنسي والاخر بالادب الروسي . فهجرة الاسرائيليين الروس والسلافيين الى الارجنتين حولت الانظار الى مؤلفات تولستوي وتورغنيف ودوستويفسكي وغوركي التي تروج ترجماتها اكثر من رواج الكتب الارجنتينية نفسها . ولكن الادب الارجنتيني يميل بوجه عام الى التحرر. وقد قال النقاد الارجنتيني خوان بابلو ايشاغي : « ان الادب الارجنتيني يتجه في الوقت الحاضر الى معاينة الاشياء الوطنية وتصويرها ، اي الى معاينةما يقع تحت انظار الكتاب مباشرة . فقد بقي المؤلفون الارجنتينيون زمناً طويلاً يقلدون الاجنبي ولا سيما الفرنسي وينتحلون افكاره وصوره . اما اليوم فنراهم يجدون في طلب ما يقوم حولهم، ويسعون لاخراج مناظرهم وعاداتهم واعتاد طرقهم في النظر والتفكير . وهذا احسن طريق في نظري ، لان المرء لا يخلص في ميدان الفن الى « العام » الا عن طريق « الخاص » . على اني لا اعتقد ان تأثير الادب الفرنسي في الادب الارجنتيني قد نقص من الوجهة الروحية . »

ويرى ليوبولدو لوغونس، وهو من اكبر ادباء الارجنتين، ان هذه الاخيرة مشبعة بالثقافة اللاتينية وبالثقافة الفرنسية على الخصوص . وهي وان رأت في السنوات الاخيرة بضعة من ادبائها يبحثون عن نماذجهم في الادب الروسي او الانكلوسكسوني او السكانديناڤي، الا ان تأثير الادب الفرنسي ما يزال بارزاً في مؤلفات كتابها وشعرائها حتى الذين يتجهون منهم الى الادب القومي .

القصاصون

واذا نحن القينا نظرة سريعة على الانتاج الاخير ، تبين لنا ان ادباء الارجنتين يحاولون الا يكتبوا غير ما ينطبع بالطابع الارجنتيني الصرف . فلبضعة اعوام خلت اصدر السنيور انريكي لاريتا قصة « زغوتيبي » واتبعها بقصة « لنجيريا » وفي كلتا هاتين القصتين حاول الكاتب تصوير الارياف الارجنتينية . على ان النقاد اخذوا عليه نظره الى هذه الارياف من ابراج قصره واحجامه عن التسلل الى نفسية اشخاصه والتعمق في درس طبائعهم وعاداتهم . اما السنيور ريكاردو غويرالدس فقد اجاد كل الاجادة في وصفه نفسية اهل الارياف وتصويره البقاع الارجنتينية . ولكن الموت اختطفه في ريعان الشباب وافقد فيه الادب الارجنتيني شخصية قد يكون كملها القصاص لنش الذي عرفنا ، باحساس ادق وبصيرة انفذ، الى عقلية القروي الارجنتيني في مختلف الحرف التي يمارسها .

وقد يكون هوغو واست (وهو الاسم الذي استعاره السنيور مارتينز زوفيريا ، مدير المكتبة الوطنية حالياً) ابعد جميع القصاصين الارجنتينيين شهرة . فهو صاحب عدة مؤلفات قسط لها في رواج لا عهد بمثله . ولا يرجع الفضل في الاقبال على نتاج هذا الكاتب الى عمق تفكيره ، فهو سطحي التفكير ، بل الى انشائه الجميل وسرده الجذاب لما تراه عيناه ويحسه قلبه . ويمتاز السنيور ارتورو كانسيلا بقصص اصدر منها عدة مجموعات ويبدو فيها تأثير اناتول فرانس واضحاً جلياً ، كما يمتاز السنيور كارلوس البرتو نومان بوصفه نفسية المرأة بأسلوب يعيد الى الذاكرة بعض اشخاص بول بورجه في اولى قصصه . وربما كان دومنغو سرميانتو الذي توفي في العام ١٨٨٨ عن ٦٧ سنة من بناة القصة في الجمهورية الفضية فقد وضع في ما وضعه من المؤلفات التربوية قصته «فاكندو» او حضارة وبربرية . وقد نقلت هذه القصة الخالدة الى كثير من اللغات .

الشعر

وللشعر ميدانه الفسيح في الجمهورية الفضية وله عشاقه وغواته . وليستطاع القول بأن كل امرىء مسه شيطان الادب استهل عهده بالشعر . وبما ان الشعر لا يطعم صاحبه فقليل هم الذين ينصرفون اليه . ولئن كان الناثرون

يتجهون نحو ادب اقليمي او وطني فالشعراء لم يهتدوا بعد الى طريقهم وان اهتدوا في الشعر الى مصفى اللفظ ولباب الخيال . ففيما بعض شعراء الارجنتين ما يبرح وفياً لابيات لامرتين الموسيقية وابيات فيكتور هوغو الرنانة اذا بطائفة اخرى ، وهي طائفة الشباب ، تنحو نحو بول كلوديل او بول فاليري . وجملة القول انه لم يصدر حتى الان اي مؤلف شعري اقر صاحبه في مكانه . فالشعر الارجنتيني يقطع عهوداً كثيرة ولم يحقق ايا منها حتى الان .

واذا حق لنا ان نستثني احداً من هذا الحكم فالسنيور ليوبولدو لوغونس الذي يعد بحق سيد شعراء الارجنتين دون منازع . سوى ان هذا الاديب الذي يساهم يومياً في تحرير جريدة « الامة » اهمل منـذ سنوات اصدار مجموعات من قصائده ومن فصوله النثرية في مسائل الفن والفلسفة . وهكذا بقي نتاجـه الروحي القيم النفيس مبعثراً في مطاوي الصحف يصعب ابداء رأي حاسم فيه .

الادب والسياسة

وبديهي ان الادب لا يقيم ، لا سيما اليوم ، بمعزل عن الاتجاهات الصوفية التي تجزىء العالم . فبعد ثورة ١٩٣٠ اخذ الشعور الوطني في الارجنتين يتجه نحو الشيوعية المعتدلة محتفظاً بطابعه الديموقراطي . وهذا الاتجاه حمل دعاة الفاشيستية على تنشيط حركتهم . فقبيل نشوب الحرب الحاضرة تمكن دعاة الفاشيست من استدراج اللجنة المكلفة منح الجوائز الادبية التي قررها مجلس بونس ايرس البلدي الى مكافأة مؤلف متسم بطابع فاشستي وبأفقر قيمـة ادبية . فالغى المراقب البلدي الجائزة وامر بمصادرة الكتاب واحراقه . وانتهى الامر الى المحاكم فلاحقت المؤلف وحكمت عليه بالسجن مدة سنة مع وقف التنفيذ وكان اعضاء اللجنة قد اعترفوا بأنهم لم يقرأوا الكتاب وانهم منحوه الجائزة نزولاً على توصية أحد زملائه والحاحه .

ونخلص من هذا العرض السريع الى ان الادب الارجنتيني ما يزال يبحث عن طريقه ولكنه يتجه نحو قومية او نحو ارجنتينية يؤمل منها ثمار طيبة في مستقبل قريب .

في البرازيل

اما في البرازيل فالادب ليس على جانب كبير من الغنى . وهو الهام وليس حرفة . وقد تمتاز البرازيل عن سائر الامم بأن ادباءها الذين لا يتعاطون الا الكتابة هم من طبقة الاغنياء .

وللشعر ازهاره اليانعة في هذا الصقع من العالم . ففي برنامبوكو وباهيا شمالاً وفي سان باولو جنوباً ، وفي ميناس وريو غراندي دوسول جماعات ومدارس شعرية كثيراً ما تصدر مجلات لا تظهر حتى تختفي . ولسنا نتحيف من حق شعراء البرازيل اذا نحن تبينا في معظمهم ، حتى حين ينشدون طبيعة بلادهم ، ميلا الى التقليد . ولكن تقليدهم ليس اعمى . وقد عرف ادباء البرازيل من فيكتور هوغو ولامرتين وموسه ، وكان تقليد هؤلاء الشعراء الفرنسيين اساسياً للادب البرازيلي . وفي الحقبة الاخيرة شوهدت امواج الرمزية على شواطىء ريو ده جانيرو .

واذا كان في شعراء البرازيل من يتغنى اليوم بالالة وناطحة السحاب ، وصخب المدينة والمعمل ، والغابة العذراء فعلى ايقاع اشبه بايقاع بول كلوديل . فناطحات السحاب والالات والمعامل والمدن الصاخبة لم تكثر بعد في البرازيل .


الاديب د . ف . سارمنتو

وللنقد رجاله ايضاً . واذا كان في هؤلاء من يميل الى تقليد « تين » الذي كان استاذ الاستاطيقي والنقد الادبي في البرازيل اخر القرن المنصرم ففيهم من يميل الى رينان ويحذو حذوه . وصفوة القول ان الاساتذة الفرنسيين ما يزالون نماذج النقد في البرازيل .

هذا الى ان مؤلفات الفيلسوف الفرنسي اوغست كونت لم تعالج تأثيرها في اي قطر من اقطار العالم كما عالجته في البرازيل . ومما لا شك فيه ان ثورة ١٨٨٩ التي قلبت الامبراطورية واقامت الجمهورية يرجع الفضل فيها الى اشياع اوغست كونت . سوى ان الادب البرازيلي لم يقطع الدليل على مكانته في فن كما قطعه في الاقصوصة والقصة . ففي العام ١٨٨٨ قدم جوليو ريبيرو قصتـه « الجسد » الى اميل زولا ، وكانت هذه القصة مستهل عهد غني بالقصص الطبيعية . وكثيراً ما تكثر السخرية في مؤلفات الكتاب الجدد الذين يأخذ عليهم الشيوخ اهمالهم اللغة العلمية ، فاناتول فرانس بقي ردحاً طويلاً من الزمن مثال القسم الاكبر من هؤلاء الكتاب ، ولا يزال الكثيرون الى اليوم يسمونه « اناتول » .

وجملة القول ان الادب البرازيلي ما يبرح في عهد التكوين .

◆



عشتروت



(١)

عشتروت
حلم لذيذ يموت
ورواء
مخضب بالمساء
يذوب ذوب الضياء
في غابة غبياء
أين العشايا الملاح
في الغافيات البطاح
وسربك الممراح
من العذارى الصباح
يملأن صدر الليل
من طيبات جبيل



(٢)

عشتروت
اي اله يموت
ومعابد
منثورة في الاباعد
لم يبق فيها لعابد
طيف تنقي مراود
ارجاؤها الخاليات
يأوي اليها الرعاة
لم يبق من اثر
حتى ولا من ذِكر



(٣)

عشتروت
اي عصور تموت
وكهوف
لم يبق فيها طيوف
تنساب مثل الحفيف
وفي الليالي تطوف
من هدأة الاحراج
الى الرمال السواجي
في غفوة الامواج
على الحصى المغناج
لم يبق في الغاب همس
ولا على الشط حس

(٤)

وأين ادونيس بين الصنوبر
يغني ويسمر
ويبعث في نغمة الساقية
تنهدة دامية
فهل يستبق
رؤاه
وهل تنطلق
من الشاطيء المتأوه في الغد آه ؟
ضباب ضباب
غفيّ طرب
وارض الى ربها تشرئب
كأن التراب
هناك يحب !

(٥)

عرائس الابحار
منثورة كالدراري
على الصخور البعاد
تطل من ارواد
ومن هناك تنادي
عشتروت
اواه يا عشتروت
أي اله يموت
عشتروت
حلم لذيذ يموت

غنطوس الرامي



الهـــــــاربون

اجل . كنت اقرأ مقدمة الطبعة الفرنسية لقصة « بابيت » الاميركية عندما وجدتني فجأة في لبنان ، كما كان يتفق لأهل الخطوة تماماً . واذا « الهاربون » من ادباء اميركا و « المحلقون » من ادباء لبنان لا يختلفون ، بعضهم عن بعض ، الا قليلا . بل اني وجدت في « التحليق » كل ما يعنيه « الهرب » فالكلمتان مترادفتان على ذلك . ولقد تستطيع ان تضيف اليهما مرادفاً ثالثاً اذا شئت وذكرت ان «العالمية» كما يفهمها المحلقون تفيد نفس المعنى ايضاً . اما انا فحريص على ان ازيدها مرادفاً رابعاً . ولست ارى ان « العنكبوت » مما لا يليق ذكره بهذا المقام .

نعم ! العنكبوت ! ولعله أقرب الى ما نقصد واكثر تعبيراً عما نريد . وان آسف الآن ، فعلى انه لم يحضرني الا اللحظة . والا لكنت اجعله مكان « الهاربين » في العنوان .

وعلى كل ، ما دام قد سبق السيف العذل ، كما يقول العرب ، فلا سبيل للعنكبوت ان يضرب خيمته في اعلى هذا المقال فلا أقل من ان نسترضيه بالحديث عنه قليلا وهو قنوع ، فيما نعهد ، يرضى بالقليل . فلطالما رأيناه ينصرف عن السعي في مناكبها ويزهد في رزق الله ، فيرتضي لنفسه العزلة في شاهق السقف ، ويظل كذلك ابداً ، فما يطعم الا ان تسوق اليه الصدفة المحسنة ذبابة عاثرة ، كما كان يفعل الغراب المحسن مع ايوب الصابر عليه السلام . واذن فلا خوف على المسكين (اعني العنكبوت طبعاً) ان يموت جوعاً في جرداء عزلته المجدبة .

على كل ، ليست معدة العنكبوت بالأمر الذي يجب ان يهمنا الآن ونحن في حديث عن الفكر وانتاج الفكر . انما يهمنا مثلا ، من امر هذا المخلوق العجيب الاسود ، انه بالرغم من انانيته وصلفه خليق بالشفقة والرثاء . وان حياته على قصرها واستمرارها على وتيرة واحدة ، لجديرة بأن نتريث عندها قليلا .

فهي كالحياة الكبرى نفسها تحتوي جميع عناصر المأساة . وما احبّ اليّ ان اكتب يوماً من الايام هذه المأساة فأسميها « الاديب الكبير » . اجل ، الاديب الكبير . فالعنكبوت ، بعد كل حساب ، اديب بينه والادب (على الاقل ، كما يفهمه المحلقون والهاربون والعالميون) صلة ونسب . والا لما كان له ان يتجشم الارتقاء حتى شاهق السقف ويلهث انفاسه تعباً ثم يغوص في خواطره القاتمة ، ويروح يجترها طيلة العمر ، بينما الحياة تمضي من تحته وتغدو في جلبة وضوضاء لا تصل الى مسمعه الا كما يصل هدير النهر في الوادي آذان القمة الشاهقة .

فما يهم العنكبوت ، في الواقع ، ان قضى رب الدار فاكتظت عليه المآتم ، او رزق سليلا فزغرد له البيت ، او حلّت عليه نعمة او اصابته نكراء ؟ وما يعنيه من كل ما يختلف على هذه الحياة المصغرة التي تعيش تحته من ألم او لذة ، وتعب او راحة ، وحزن او فرح ، وشقاء او سعادة ؟ حسبه هذه الطرفة التي ينسجها طيلة العمر خيوطاً من لعاب خواطره الاسطورية الواهية .

لنفرض امراً على سبيل المباسطة وهو ان صاحبنا العنكبوت فنان ذو ولع بالفن للفن . وان طرفته على قسط من الجمال الهندسي . فهل ترى يشفع به ذلك في يومه الآخر ، يوم يقوم في البيت ما يشبه القيامة واذا المكنسة الحانقة — تدعمها اختها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القصبة – تتسلق مقصورة صاحبنا لتقلع منه الآثار وتنسفه الى هوة من العدم لا مكان فيهـا للخلود ؟ او ترى ان هذا المصير المحزن حقاً ، جدير بان نسميه اضطهـاداً نقول ، من اجله ، لابن آدم: شلّت يداك، كما كانت تقول الانسانية لنيرون وجنكيزخان وهولاكو وأتيلا وجحافل البرابرة الفاتحين ؟ او نقول بتعبير صريح وجيز ان الاعتداء على العنكبوت « وطرفته » اعتـداء على الفن واهل الفن يستلزم الاحتجاج وغضب الكرامة ؟

الجواب بسيط كل البساطة ، قد تجده عند النحلة مثلا ، مـا دمنـا نتكلم عن الحشرات ، او تجده عند زميلتها النملة . فما عهدنا في ابن آدم ، والحق يقـال ، الا حسن الرعايـة للأولى وفرط الاحترام للثانية . قد تكون المنفعة المادية من وراء هذا الاحترام وتلك الرعايـة ، كأن تقول ان النحلة انما تقدم للانسان مادة ثمينة فيها غذاء ولذة . وان النملة انما تقدم له مادة ثمينة كذلك،فيها فوائد كيمية جمة، على ان الامر الذي لا شك فيه هو أن هاتين الحشرتين على اتصـال مباشر بصميم حياة الانسان المادية والمعنوية معـاً . ولعلك تذكـر – والعهدة على الراوي – حكاية النملة المشهورة وأحد قواد التاريخ القديم واغلب الظن انه الاسكندر . فمهما يكن من الريب في صحة هذه الحكاية ليسرني جداً ان ارى الفكر الاغريقي مديناً في انتشاره لنملة عصبية المزاج عنود الطبع اخفقت في بلوغ القمة ست كرات متوالية ، فلم تنثن حتى افلحت في السابعة . ولقد يتفق لك احياناً في ساعات الضجر والتأمل – كما يتفق لي كذلك احياناً – ان يستيقظ وعيك فجأة على حضيض الارض ، فاذا على الحضيض حياة جبارة تضطرب وتموج في خط اسود مستطيـل ، كأنها تضطرب وتموج في شارع من شوارع العالم الجديد تنحدر اليه عينك المقشعرة من ذرى الابراج النواطح السحب .

كذلك يخامر الضمير نوع من الاحترام فلا تحاول القـدم ان تنزل بطوائف النمل مـا تنزله « المكنسة » بزمر العناكب . وما لنا قد نسينا النحلة–(وما انسانها الا العنكبوت) . فسبحان الله ، انسناها ونحن نتحدث عن الادب ، وعن الروح الاقليمية في الادب ، وعما يجدر ان يكون عليه الانتاج الادبي في لبنان ؟

الحق ان النحلة (ولنخص اللبنانية ما دمنا في لبنان) مثل في الانتاج جدير بأن يحتذيه اهل الفن والادب عندنا . فهي ابنة هذه الارض البارة ، تجوبها بقعة بقعة ، من حدائق الساحل حتى حقول الجبل ، وتحط على كل زهرة فيها ، من براعم الليمون حتى الاقحوانة، ثم تغدق عسلها لذة للشاربين ، عسلا فيه رائحة لبنان ورحيقه وطبيعته وكنه تربته .

اظن ان الجواب الذي قصدنا اليه عند النملة والنحلة قـد جاء طويلاً اطول من قوافل النمل . ولعله كان ايسر علينا لو أفتينا منذ البدء بتحليل قتـل العنكبوت ونسفه وخيمته الى حيث القت ، اذ لا فائدة منـه ولا رجاء ، الاّ ان يكون موضوعاً لحديث كهذا الحديث، وهذا ما لا يشفع به في اليوم الآخر. واذن فلنقل: ليرحمه الله شهيداً، عاش عنكبوتاً وقضى عنكبوتا .

اما بعد، اي بعدهذه التوطئة الطويلة عن العنكبوت والنحلة والنملة ، وقد كان بالامكان ان نستغني عنها لو لم يسقنا اليهـا الولع بالبحث عن المترادفات ، فلنرجع الى دنيا البشر لنتحدث عن الهاربين ، لا في اميركا ، بل في لبنان ، اذ ان هنا مثـل هناك ، جماعة قد يعيشون في كل بيئة الا البيئة اللبنانية ، وقد يتحدثون عن كل شي. الاّ الذي يهم الرجل اللبناني والامة اللبنانية . لكن لم تبلغ بهم الجرأة بعد ان يحيكوا قصة عن جماعات الاسكيمو ، او ينظموا الشعر الغزلي في فواتن الزنوج . اما اين يعيشون وعمّ يتحدثون ، فمن الصعب تحديـده . واغلب الظن انهم يعيشون في عوالم خاصة بهم يبنونها فوق السحب ، من غزل الخواطر الاسطورية الواهية . ويتحدثون عن اشباح ليس لها وجوه ولا هوية ولا وطن، فعواطف وافكار واحاسيس واحوال وطبائع بلغ من شمولهـا واشتراكيتها ان فقدت صفاتها الانسانية الراهنة .

فاذا زعموا لك انهم ينتزعون أدبهم من صميم الحياة اللبنانية ، قل لهم ان الحياة اللبنانية وليدة تاريخ كبير شاسع عميق تضطرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اعماقه اجيال وامم ومدنيات وحروب وانها صنيعة طبيعة شاءت لها ان تكون ملتقى دروب بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، وان تكون بالتالي ميداناً لصراع لا ينتهي. فالصراع كنه هذه الحياة اللبنانية ينفذ فيها كالسهم الناري ساعياً منذ اقدم العصور حتى اليوم . وهل كان تاريخ هذه الحياة منذ اكثر من نصف قرن حتى الآن الا تاريخ ذاك الصراع الذي بدأ بيقظة قافلة من السابقين ، فطلقة مدفع وشهداء ابتلعتهم الزوبعة؟

ثم ماذا كان بعد الحرب ? صراع بين جيلين وعقلين ومدنيتين، بين شرق راكد كالمستنقع وغرب جامح كالصرصر العاتية ، بين اب وابن وام وابنتها ، بين دابة كسول وسيارة من حديد ، بين كتاب في الدين وكتاب في العلم . ثم كان صراع بين ابناء الجيل الواحد ، بين عرب وفينيقيين ، ونخلة بالشاطئ، وأرزة بأعلى الجبل ، وعين تتطلع الى الصحراء وعين تتطلع الى البحر . فصراع بين القرية والمدينة ، بين صخور البيدر ومقاعد الحكومة ، بين سروال الفلاح و « روب » المحامي ، بين موال العتابا واغنية « مارينلا » ، بين الدبكه و « الرومبا » ،بين كوخ في وجوم وفندق في عرس ، بين لبنان ولبنان آخر ، واشياء وأشياء لا يمكن للذي يحلق فوق السحب ان يراها ، او لا يهمه في شيء ان يراها . فالحياة ان تمضي من تحته وتغدو اما هو فحسبه الطرفة التي ينسجها من غزل خواطره الاسطورية الواهية .

ألعلك ترى الآن لمَ كنت حريصاً في البدء على ذكر العنكبوت !

اما بعد ، مرة ثانية ، فقد تركنا قاموس الادب اللبناني المعاصر مفتوحاً على مصراعيه بعد ان شغلتنا عبارة من عباراته الجاهزة المصنوعة ، ثلاثة اشهر من حياة هذه المجلة ، وصلنا خلالها الارض بالسماء، وطفنا العالم وجلنا في مملكة العناكب والنحل والنمل، فعسى ان لا تكلفنا العبارة التالية، كأختها السابقة ، مثل هذا التطواف المجهد .

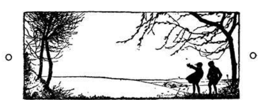
« سعيد »

من الادارة

تشكر ادارة « الاديب » الى الزملاء الافاضل في الاقطار العربية ما ابدوه في صحفهم ومجلاتهم نحوها من علامات التقدير والتشجيع ، راجية ان تكون عند حسن ظنهم .

وتغتنم الادارة هذه الفرصة لاعلام قرائها بأنها قد احتفظت بعدد قليل من نسخ الاجزاء الثلاثة الاولى وهي ستخص بها الذين يظهرون رغبتهم الاشتراك في المجلة ، فلا يسعها والحالة هذه ارسال الاجزاء التي تصدر لمن يطلبها من غير المشتركين الجدد ، سواء أقدموا ثمنها ام لم يقدموه .

على ان بدل الاشتراك يدفع مقدماً ، ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل .



من ذكريات الطفولة

الخيبة الاولى

بقلم الانسة فلك طرزي

تذكر انها ضحكت كثيراً في صباح ذلك اليوم .. ضحكت ضحكاً طبيعياً صافياً لا تشوبه شائبة من الكلفة ، ولا تتخلله الاكدار . ولم يكن هنالك من سبب يحملها على الضحك ، الا انها فتية صغيرة تستقبل الحياة بابتسام ، ونفس الفتية نفس صافية المزاج ، شفافة الحس دقيقته ، تجد مناهج الطبيعة سبيلاً سهلة اليها ، فهي تكاد تكون لدقتها وفيض الاحساس فيها ، مقياساً صحيحاً لكل تطور من تطورات الحياة التي تتعاقب على فصولها ، ولكن ابلغها اثراً فيها ونفاذاً اليها ، انما هو فصل الربيع . ولا غرو في ذلك ، فكلاهما يستقبلان الحياة بفتوة وايمان ، وكلاهما تتكون الحياة فيه وتتهيأ للنضج والكمال ، وهو مفعم بالبشر ، فياض بالزهو والشباب . فضحكها اذن كان منبعثاً عن بهجة وصفاء وسرور صادق ، وهل الصدر المبتهج بحاجة الى سبب من الاسباب يبعثه على الضحك ان شاء ان يضحك؟ ضحكت لكل شيء حولها ، اذ كل شيء كان ضاحكاً زاهياً في ذلك الصباح . ضحكت للشمس ولاشعتها التي كانت تتسلل بين الفروع ثم تتدمنها الى صفحة الجدول حيث تداعب زبد الماء فيتكسر موجه تارة على الضفة ، وتارة فوق اكوام الحصى الماسية الصغيرة المستقرة في قرار النهر . ضحكت لهذه الاشعة اذ شعرت بها تداعب شعرها ، فتلمع غدائره في نورها ، وكأنها قصاصات من الذهب تبعثرت حول جبينها ، واسترسلت على عنقها وكتفيها . ضحكت لخضرة الشجر ورونقه وبهائه ، وانطلقت روحها الى الافنان تغرد مع البلبل ، وتشدو مع الطير ، قافزة مثلها من فنن الى فنن . ضحكت لبهجة الكون والطبيعة المتحلية بزينة الربيع وفتنته ، فمزيج من الابيض والاخضر ، والازرق والاحمر ، كان يتموج مع تموجات الشمس ، ويؤلف جوقة من الالوان تبعثرت في كل طرف وجانب : في الماء والهواء ، على الارض وفي السماء ، ينبعث منها جميعاً لحن من موسيقى الصمت تتناثر نغماته في اجواز الفضاء ، وكل نغمة منها تحدث عن سر ، وتكشف عن لغز .. كان عبء السعادة يثقل على نفسها التي طفحت بالبهجة والامل ، فكانت في سرها توزع منها على المارة في الطريق ، فلا تنظر في وجوههم الا وتلمح فيها من اثرها ، فكأن الدنيا في عرس ، والناس يشاركونها البهجة والفرح . غير ان الاقدار لا تمنح المرء لحظة السرور الا لتستردها منه ، ولا تهبه المتعة الا وقد فرضت عليه الثمن سلفاً .. ابتهجت عند الصباح وضحكت .. واغتمت عند المساء وبكت .. وهل الحياة الا ضحك وبكاء ؟ وهل الدنيا الا فواجع ومهازل ؟ ضحك ينبعث منه عويل الزوبعة وصراخها ، فاذا عصفت الرياح وصيّحت ، تحول الضحك الصاخب بكاء ، والاشراق عبوساً ، الى ان تأخذ الازمة مداها من تكوين عناصر الحياة في اجواف الارض ، ثم في انفجارها ! فاذا اشرقت الشمس ولمع نورها ووضعت الارض الجنين الذي تكوّن في احشائها ولد الربيع ابن الشتاء والاعصار والريح ، فتبشر به الدنيا قبل انبعاثه من خفايا الغيب ، وتهلل له اذا اقبل .. وكانت الفتاة خلال طريقها لا تفتر عن ترتيل قصيدة « موسيه » العصماء «ليلة ايار» اذ وجدت فيها خير شعر يمثل نشوة الطبيعة في ذلك الصباح . فاذا استعذبت بيتاً فأستعادته ، ونظرت حولها فلمست دقة حس الشاعر ومبلغ صدقه فيما وصف وصور ، انطلقت تنشد مع عروسه :

خذ قيثارك ايها الشاعر وهبني قبلة
فبراعم زهرة النسرين تتفتح عن اكمامها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهبات الريح اخذ الدفء يدب فيها
والعصفور الصغير يكمن داخل الادغال الخضر ريثما يبزغ الفجر
خذ قيثارك ايها الشاعر وهبني قبلة
ان الربيع يولد في هذا المساء

وكان قلبها يرقص طرباً بين جوانحها ويهتز اغتباطاً كلما استمرت في انشاد الشعر وترتيله ، بل كانت تشعر بـه يفلت من بين جبينها ويطير الى حيث يتحرر من قيود أسره . لكنـه ان رقص عند الصباح طرباً فهو قد نظر في الليل الى الاشياء التي حوله ، فرآها من خلال الظلام والدمع ترقص شجواً والماً . . وهل الحياة الا ضحك وبكاء ؟

* * *

سهل على البصيرة ان تقرأ ما يجول في ضمير الطفل وما يتنازعه . فقلبه كصفحة ناصعة الصفاء يطالعها من شاء ، وان اتفق ومرت به غريزة من الغرائز الخبيثة ، فهي لا تبقي فيه اثراً من آثارها التي ان تنازعته عند الكبر ، رسخت فيه واستقرت . فلا مراوغة عند الاطفال ولا تمليق ، ولا مخادعة ولا نفاق .

ان احب القلب الطفل فحبه صادر عن صفاء ، وان غضب فغضبه صفاء ، وان ضحك او بكى فلأسباب قلما تكون جسيمة ، ولكنها جميعاً من الشر والخبث براء .

ايها الطفل العزيز ! يا من تنتشي النفوس بنغمات السمو والامل التي تتضوع منك ، حتى في اشد الساعات ظلمة وضيقاً ! لو تدري اية عظمة في الاخلاق والسجايا تحملها انت على منكبيك الصغيرين بينا تنوء بها مناكب عريضة ضخام ، تفتح ناظريك على الدنيا ونفسك ملؤها الحب والخير والصفاء ، وتقبل عليها بقلب مفعم بالصدق والود والاخلاص ، ظناً منك انها مرآة نفسك وصورة قلبك . فاذا نفذت الى الدنيا ونفذت اليك ، فعاركتها وعاركتك ، واذا تغلغلت اساليبها فيك ، فلمست الكيد والغش وانواع الشرور المنتشرة فيها ، ادركت ما يقوم بينك وبين حقيقتها من شاسع الابوان ، وعرفت ما ينهض من الحواجز بين واقع نفسك وواقع الواقع ! فتدمي الحقيقة المرة قلبك وتفجعه ، وتأخذ الريبة والشكوك في شق سبيلها الى نفسك وفكرك ، فتتألم وتبكي ، لانك ما تعودت ان تشكك وما تعودت ان ترتاب . . فالعبء ثقيل عليك ، لان هذه الخيبة هي خيبتك الاولى في الحياة ايها الطفل ! من خبرك عن السذاجة ، أهي نقص ام فضيلة ؟ ومن ينبيك عن المعرفة أهي سعادة ام شقاء ؟ فتغضب وتثور ، لكنك تصبر وتتحمل لان الحياة تفرض ذلك عليك ، ولانها ترد عن حظيرتها كل خائر العزم ، وضعيف النفس والخلق . .

هي الحياة جهاد ونضال ، تصدق مرة وتخيب مرات . تلاشى النهار واقبل المساء . وطفلت الشمس للغروب فأخذت تلقي من ذوب نورها على الاشياء حلة صفراء زرقاء . وغادرت الفتاة المدرسة الى البيت ، وفي نفسها شوق اليه ، اذ موعد الحفلة التي يقيمها اخوهـا لابيها على شرف صديقه ، كان هذه الليلة . وما بلغت البيت وولجت بابه حتى سمعت حركة وضجيجاً قائمين فيه : فالخدم قد انتشروا في بهوه وغرفه ، يرتبون ويزينون . واختها الكبرى — لابيها ايضاً — تشرف عليهم وتعمل معهم عندما يقتضي العمل بعض الدقة والذوق . فكانت ترتب أثاث الغرف وتصلح مراكزهـا ، وتصف الاواني الفضية على المائدة وتزينها بزهريات مختلفة الاحجام تضع فيها وتنسق انواع الورد والزهر . كل هذا والفتاة تتنقل من مكان الى آخر ، فتقصى عن كل مكان خشية ان تفسد ترتيبه . فاذا آوت الى المطبخ او غرفة الطعام تعزت بالرائحة الشهيـة التي كانت تنبعث من انواع اللحوم والفطائر واشكال الحلوى وتداعب شمها ، فتتلمظ وتبرق عيناها سروراً ، اذ تعد نفسها بأطايب جميع هذه الالوان . غير ان امراً كان يحزنها ويعكر عليها صفوها : لقد بحثت عن امها في كل مكان من المنزل ، فلم تجدها ، فلم تغيبت في مثل هذه الليلة ، والفرح يعم جميع من في المنزل ؟ ذهبت وتركتها لينهرها الخدم ان سألتهم شيئاً ، ويصدوها ان كلمتهم ؟ وقد سألتهم عنها فأجابوها بجفاء : « ذهبت منذ ساعات ولا ندري الى اين ذهبت » . فلتلجأ اذن الى ابيها ، هرباً من هذه الضوضاء ، ولتجلس بجانبه على السرير ، فتحدثه عن شؤونها وشؤون مدرستها ، لعل ذلك يخفف عنه قليلا من وطأة المرض . فاذا ضمها واحتضنها ، شعرت بالطمأنينة والحنان يغمرانها ، وتنسكب منها فيها قطرات تنسيها كل قسوة والم . وغادرت الفتاة غرفة الطعـام وسارت في البهو الفسيح ، تتمهل اللحظة السعيدة كأنها تريد ان تمتع بها الفكر قبل الحس ، وتفسح لها مكاناً في قلبها . وكان الظلام قد شاع في جوانب البيت وانتشر ، فتملكها ذعر وخوف ، وكادت ترتد الى

حيث كانت ، لو لم تسمع يداً تدير مفتاح النور ! فنظرت حولها فاذا بها تجد نفسها على بعد خطوتين من باب الغرفة ، وبجانبه قد وقف اخوتها الثلاثة وهم على وشك الدخول . فالتفت احدهم الى ناحيتها ونظر ، فاذا رآها لم يبتسم لها ولم يشر اليها بالدخول معهم على ابيهم ، بل ولى نظره عنها ، ودخل الغرفة مع اخويه ، بعد ان ترك احد مصراعي الباب مفتوحاً . وقفت الفتاة في مكانها ، لا تستطيع حراكاً ، وقد ارتجفت جميع اعضائها من هول الاضطراب . وقفت تنظر امامها بعينين اشعل الغضب والحرمان شرر الغيظ والحقد فيها . لقد كشف لها المنظر الذي كانت تشهد ، عن امور كانت الى هذه الليلة تجهلها ، فادركت منذ تلك اللحظة ان الاخ يستطيع ان يضمر لاخيه غير الحب والخير عندما تختلف الامهات ، وان يستأثر دونه بعطف الاباء ورعايتهم ، فانهار على اثر ذلك فيها ، اول بنيان من ابنية الوهم الضخمة الجميلة . كانت تنظر بقلب يتقطع ألماً الى الابناء يحوطون الاب بالعناية والعطف ، ووالدها يغمرهم بالحنان ، فيقبلهم ويقبلونه ، ويحدثهم ويحدثونه ، ويغدق عليهم من الدعوات ما يشرح الضمير ويبهجه . بينما هي الفتاة اصغر هؤلاء الابناء ، واحوجهم الى الحب والعطف والدعاء تقف خلف الباب منكسرة القلب والخاطر ، قد حرمت عليها نعمة الحب والحنان . لقد عرفت فيما بعد اي ألم صارخ يصيح في مجموع النفس



والجسم عندما تقتلع قطعة منهما ، وأحست من اعمق اعماقها كيف يتضعضع لهوله الكيان ويتزحزح . بيد انها ما سمعت قط ولا شعرت فيما بعد ذلك بألم يدوي فيها ويمزقها كما صرخ فيها ومزقها في تلك الليلة ذلك الالم . شعرت بفرائصها ترتعد ، وبجسمها يختلج كل طرف منه ، وبقلبها يطرق طرقاً عنيفاً متواصلا يصعد به الى حلقها ! وشعرت بالنفس يختنق في صدرها وبالدمع يغمر عينيها حتى أخذ كل شيء من حولها يرقص ويتحرك . غير انها تماسكت على نفسها وصبرت ، ريثما تشهد النهاية . فما مضت برهة حتى سمعت خطاهم تقترب من الباب ، وهم بعد ما زالوا يتحدثون الى والدهم وابيها ، يسألونه رأيه في بعض الامور ، ويستشيرونه في بعضها الآخر . فاذا خرجوا مروا بجانبها ، دون ان يعيروها لفتة . وعندئذ تزعزع صبرها ، وتحطم جلدها ، وخارت قواها ، فالعبء قد ثقل عليها ، ولم يعد لها طاقة على احتماله . فأرسلت صرخة دوت لها اركان المنزل ، واتجهت ركضاً نحو غرفتها ، فاذا دخلتها اوصدت خلفها الباب ، وارتمت على السرير تفرغ ما اثقل صدرها في تلك الليلة من خيبة وغيظ وألم ! لقد اكتشفت في ذلك اليوم سراً خطيراً : اكتشفت القلب البشري على ضوء جديد ، اذ عرفت له شكلاً ما كانت تعهده من قبل .

دمشق — فلك طرزي

نزه الطرف في دمشق ففيها	كل ما تشتهي وما تختار
هي في الارض جنة فتأمل	كيف تجري من تحتها الانهار
كم سما في ربوعها كل قصر	اشرقت من وجوهه الاقمار
وتناغيك بينها صادحات	خرست عند نطقها الاوتار
كلها روضة وماء زلال	وقصور مشيدة وديار

عائشة الباعونية

اسطورة شاعر

كان الفتى مانتس واخته فامبا يرعيان قطيعهما على الشاطىء بالقرب من جزيرة خيو . وكانت الغيوم تغطي السماء والبحر يزأر عن بعد ، منذراً باقتراب الزوبعة . فقال مانتس لاخته فامبا : « تعالي يا اختاه نجمع اغنامنا لنعود الى كوخ ابينا ، قبل ان يدهمنا المطر . » ثم اخذ يلم القطيع مستعيناً بكلبين يدوي صوتاهما في تلك الارجاء .

وكان البحر يزداد هياجاً، والغيوم تكر على الغيوم . واذا بالفتاة الجميلة ذات العينين الزرقاوين تصيح باخيها :

الا فانظر الى هذا القارب الذي تتلاعب به الامواج ... الا ترى كيف يصعد ويهبط كأنه يطاول السماء حيناً والهاوية حيناً ؟ لا ريب ان جوبتر المنقذ وابولون المضياف قد ارسلاه الينا . فلننظر قليلا لعلنا نرجع الى ابينا مع عجولنا الجميلة وخرافنا ذات الصوف الطويل، ببعض المسافرين ممن غدرت بهم العاصفة . » وكان القارب يدنو بصعوبة من الشاطىء ، والمجاذيف تعمل بقوة ، الى ان حط على الرمال . لكنه ما عتم ان رجع بسرعة البرق الى فلك كان ينتظره في عرض البحر، ثم توارى القارب والفلك عن الانظار .

وعادت الزوبعة الى اشدها ، فاسرع الراعي الشاب بالرجوع ونادى كلبيه : سربر ! « اليّ ، منيسوس ! » ولكن الكلبين كانا بعيدين عن ندائه، كانا على الشاطىء ينبحان نباحاً قوياً . فخف مانتس اليهما ، فاذا به يرى شيخاً جليلا مغمض العينين ، واقفاً بلا حركة ، والزوبعة على اشدها تعصف فوق رأسه ، والبحر يهدر تحت قدميه ، والكلبان يتأهبان للفتك به لاول خطوة يخطوها . ولم تكن سيماء الخوف بادية على محيا الشيخ لانه عارف بارادة السماء ، وانه في هذا الوجود لا تكلف نفس فوق طاقتها ، فتوكل على جوبتر ووقف ينتظر .

فاهاب مانتس بالكلبين يزجرهما بعصاه ، ودنا من الشيخ يخاطبه بلهجة الاشفاق : « ايها الغريب النبيل ، ما الذي اتى بك الى هذا الشاطىء وحيداً فقيراً ؟ ولكن ليس هذا وقت السؤال ، فهلم وأسند يدك الى كتفي لاقودك الى كوخ ابي الراعي خاوكوس وهو يحسن ضيافتك . »

قال الشيخ: « ان جوبتر لا يتخلى عن بنيه ، فانا فقير اعمى ، منشد يغني الناس اشعاره، غادرت فوسه الى خيو، لكن البحارة ابوا الا انزالي في هذه الناحية ، فحمداً للسماء لاني وقعت عليكم . »

ووضع الشيخ يده بلطف على كتف الشاب ، لانه كان على الرغم من كبر سنه قوياً نشيطاً ، وقد جاب الآفاق وزار مصر وروما وجلس على انقاض طروادة، وطاف بلاد الاغريق ينتقل من بلد الى بلد ، مكرماً حيناً وحيناً مرذولا ، دون ان يؤثر فيه تقلب الاحوال كثيراً او قليلا .

ولما وصل الشيخ والاخوان والكلبان والقطيع الى بيت خاوكوس ، كان هذا قد اشعل النار استعداداً للعاصفة . فاستقبل الغريب بالترحيب قائلا : « ان الآلهة ارسلتك الينا ، فاجلس في احسن مكان من بيتي . وانت يا فامبا تسخنين الماء لتغسلي قدمي ضيفنا اليوم . » ثم مد الخدم المائدة وسكبت الخمر في الكؤوس واكل الجميع شهياً ، بينما الزوبعة تزأر في الخارج، والمطر يتساقط كالسيل ، والريح تئن والرعود تزمجر .

وبعد الطعام قال خاوكوس لضيفه : « لقد اعددنا لك اطرى

ARCHIVE

الجلود لتستريح ، فليسكب النوم عليك نسيانه . » ، ثم حياه مع اعضاء اسرته وذهب .

وفي صباح الغد استيقظ الفتيان ، فاذا بالشيخ تحت ظل شجرة الغار العزيزة . فقال لهما : « عما صباحاً يا ولديّ . ظننتماني نائماً ، وما سكت الا لاحمي نومكما . فمن العدل ان ينام الصبي ويسهر الشيخ . فالحياة تمد للشباب ذراعيها باسمة ولكنها تهرب منا . لم يبق لنا الا القليل من العمر للتمتع برأى الشمس ، ولهذا نحييها كل صباح ونحسبها آخر تحية . عما صباحاً يا ولديّ . انظرا الى السماء صافية اليوم ، واشعة الشمس لطيفة الوطأة ، والعصفور يغني والغدير يرنم ، وقمة الجبال تكسى حلة وردية . ما اسعد الاولاد ، فهم يلمسون السماء بالحاظهم . اما انا فغريق في دجى ليل ابدي . ولكني على الرغم من فقداني البصر ، احب عند الصباح ان اشعر بيقظة الفجر ، كما احب عند الظهيرة ان انعم بمرور الشمس فوق رؤوسنا ، وكما احب عند المساء ان اسمع وسط السكون هبوط الشفق من الجبال الى الاودية . اني اعمى البصر لا البصيرة ، فانا بالروح ارى كل شيء ، واراكما يا منقذيّ . انت يا مانتس وانت يا فامبا ، سأفسح لكما مكاناً في اشعاري . »



قالت الفتاة والحياء يورد وجنتيها : « قلت لنا يا ابي انك من الذين قد رضيت عنهم الآلهة . فهل لك ان تنشدنا من اشعارك ؟ غنّ لنا مآثر الالهة والابطال . اطرح بركتك على هذا البيت بحق معلمك جوبتر وابيك ابولون . » فاجابها الشيخ : « ان ما تطلبينه حق يا ابنتي ، لان واجب الشاعر ان لا يحرم الارض انشاده . فاطمئني وخذي الان قطيعك الى الشاطىء ، عسى ان تصادفي مسكيناً آخر فتنقذيه . ومتى اقبل المساء انشدك مصائب طروادة وامجاد الاغريق وتنافس الالهة ، واتلو عليك اسماء عظيمة تجهلينها . »

فذهبت فامبا مع اخيها الى الشاطىء ، فابصرا بقايا السفينة وقد حطمتها الزوبعة وقضت على بحارتها كأن الالهة ارادت ان تنتقم للشيخ الطريد الشريد .

ولما جاء المساء اجتمعت الاسرة من سادة وعبيد في شبه حلقة حول الشاعر ينظرون ويصغون . وسكنت الريح وتوارت الشمس خلف الجبال واخذت الاشجار تتهادى مع النسيم ، وجلس الشيخ وحده على كرسي رافعاً نظره الى السماء كانه يستوحي الكوكب اللامع في الافق البعيد .

ربة الشعر عن اخيل بن فيلا
انشدينا واروي احتداماً وبيلا !

ومكث الشيخ اياماً في كوخ الراعي الهادىء ، والناس تأتي اليه من كل جانب ليروه ويسمعوا تاريخه . فكانت كل كلمة تسقط من فيه توحي الشجاعة والرحمة والفضيلة . لا ريب ان هذا الشيخ رسول الالهة ، فهو يعرف كل ما يمكن ان يعلموه ، من طب الاجسام الى قيادة المركبات الى الحروب . تكلم بالتاريخ عما كان ، وبالوحي عما سيكون . لقد سمع ورأى كل شيء ، وهو جدير بأن يقام له هيكل على هذه الشواطىء كآله . وكان ضيوفه يصلون كل يوم ان تطيل السماء حياته وترعاه ليطربهم ويعلمهم ويهذب اخلاقهم ، ولكن للشاعر رسالة لا بد من تأديتها ، وهو يعلم ان هذه المنحة السماوية لم تعط له ليضيعها تحت الظلال الهادئة في سبيل سعادته ، بل لينشر في كل مكان كنوزها الغنية بالتعاليم التي تشرف الانسانية . فلما انتهى من ارواء هذه البقعة من الارض انبأ اهل الدار بعزمه على الرحيل ، وما رأى الدموع المتساقطة من عيونهم جزعاً عليه . فبسط يده مباركاً ، والجميع خشّع ، حتى الكلبين اللذين كانا يريدان افتراسه ، فقد اصبحا ينظران اليه نظرة حنو واستعطاف . فقال الراعي خلوكوس بصوت متهدج : « لقد شرفت داري ايها الشيخ وتركت فيها اجمل ذكرى . وهذا الجلد الذي اضطجعت عليه ، وهذه الكأس التي لمستها شفتاك ، سيبقيان ذخراً غالياً لنا . فعلى الطائر الميمون . . الا انى لا ادعك تذهب فقيراً كما جئت ، وبدون

مساعد سوى عصاك . اقسم بابولون المنقذ ، وديانا حامية الجبال، وهرقل مروض الوحوش ! لن تسير وحدك دون معين او دليل ، وخادم يبعد عنك كلاب الطريق . اني اعطيك اثمن ما عندي . اعطيك ابني الوحيد ، فهو لك ، وليكن صديقك وسميرك ودليلك وخادمك . اني اهبه لك ، وامه تهبه لك ، واخته تهبه لك ، وهو يهب نفسه لك . خذه يا ضيفنا العزيز ، وليبق معك مدى الدهر ، وليتبعك في معابد الالهة ، وفي الطرق الشاقة ، وليسمع اغانيك الخالدة ، وليعدها امامك ، حتى اذا وليت كان خير خلف ينقلها للناس ، فيتداولونها جيلاً بعد جيل .

فالقى الشيخ عصاه على عتبة البيت ، ويده على كتف الشاب ، وسار على بركة السماء . .

لقد عرفتم من هو هذا الشيخ اوميروس المجهول الحسب والنسب . لقد ادعى البعض انه ولد في مصر او الشرق ، وجعلوا امه احدى كاهنات ايزيس ، فكانت الحمائم البيضاء تأتيه في المهد وترفرف فوق رأسه وتلاعبه باجنحتها الناعمة . وادعى آخرون انه ولد في بلاد الاغريق لسبعين بعد المئة من حصار طروادة . على كل حال ، فقد عاش فقيراً وحيداً . لكن ما يهم الفقر والوحدة ما دامت ربة الشعر تغنيه وتحميه اينما كان ، فيسمع صوتاً من اعماق النفس ، يقول له : « ان المستقبل ملك لك » ؟ لقد كانت اناشيد اوميروس مجداً للاغريق ، والياذته تاريخ الارض والابطال والآلهة ، وبها خلق لليونان فناً وديناً وتاريخاً ولساناً . .

ليس اوميروس اول شاعر تكلم عن اليونان ، فمن قبله أهل الاولمب والبارناس بالوحي ، وارتوى ابولون من ضفاف «بنه» ونام في وادي «طيبه» . وكان لليونان شعر حب وعبادة ككل شعر قديم . ولكن اوميروس اعظم الشعراء ، من لينوس الذي قتله هرقل الى اورفه ابي العجائب . فقد كان تاريخ الاغريق ومصدر الهامهم ، يعرف اسماء الجبال والانهر ، وكل زاوية من بقاع الارض ، وكل بطل من ابطالهم ، وكل لسان من ألسنتهم . وقف على باب كل كوخ وعتبة كل هيكل ، وطرق ابواب الشعر وابواب المجد معاً . لقد ورث وحده المشرق ، ونقل هذا الميراث الدائم الى السلائل الآتية ، ولهذا احبه الناس وعشقوه ، فادعت سبع مدن انتماءه اليها ، وتنازعت شرف الانتساب اليه . واعجب به الكبراء في كل مكان وزمان ، وكان الاسكندر يحمل كتابه اين ما ذهب ، ويطالعه قبل ان ينام . ولما وقف على قبر اخيل بكى على نفسه لانه لم يجد في عصره اوميراً ثانياً يخلد انتصاراته . وما احسن ما قال فيه شاعر افرنسي ، ولا اذكر أهوغو هو ام فولتر :

ثلاثون قرناً بعد اوميروس خلت	واميروس لم يخل منه شباب
تمر به الاجيال وهو اميرها	له المجد تاج والخلود اهاب . .

(نقلاً عن الشاعر اندره شنيه)





لندن بعد سنتين من الحرب

كما رآها شاهد عيان

لقد خلفت الحرب الحاضرة كثيرا من الاثار ، وهي ظاهرة بوضوح في كل بقعة من بقاع بريطانيا العظمى ، لكنها في لندن اوضح واروع مـا تكون في النفس . ولا غرابة فلندن قلب الامبراطورية البريطانية ، وان شئت فقل انها اعظم مدينة في العالم .

ليست لندن عظيمة بعدد سكانها فحسب ، بل هي عظيمة ايضاً بمـا تحتوي من ثروات طائلة ، فنية وعلمية ومدنية . عظيمة بقدمهـا ذلك القدم الذي خلع عليها حلة من الجلال والمهابة ، عظيمة بتاريخهـا السياسي القديم وبمجهوداتها الحديثة على السواء .

جاءت الحرب فبدلت من وجوه الناس في لندن وغيرت من سيانهم واذواقهم . واجلى مظاهر هذا التغيير انك اصبحت ترى آلافاً من الشبـان في بزاتهم العسكرية ، وكثيرات من النساء والفتيات يضطلعن باعمـال الرجال ،وسادت روح جديدة لا تعرف الا في ايام المحن والشدائد .

كنت قبل الحرب لا تقدر على ان تتنبأ بما قد يفاجؤك بـه صديقك من اخبار وآراء . اما اليوم فليس ثمة غير فكرة واحدة تجول في ذهن كل الذين تصادفهم : هي الحرب . ولقد طبعت هذه الفكرة الوجوه بملامـح ثابتة معينة ، ووسمت الحياة بتجاعيد لا عهد بها في السابق .

لقد غطت الشؤون العامة على الشؤون الخاصة،فاصبحت المصالح الفردية لا تثير العناية او الاهتمام اللذين كانت تثيرهما فيما مضى، وتعود النـاس جميعاً ان يتغاضوا عن التفكير في الامور التافهـة ، وصرفوا جهدهم ووقتهم فيما هو اجدى وانفـع لهم ولبلادهم في هـذا الظرف العصيب . فـاذا راقبت اناساً يتحدثون وتفرست في وجوههم ادركت انهم لا يقطعون الوقت بالتحدث عن شؤونهم الخاصـة ، لكن يبحثون موضوعاً يشترك في الاهتمام به كل واحـد منهم . واذا ما عن لك ان تشاهد جماعة من السيدات حول مائدة الشاي اكتشفت انهن لا يتسـاررن ولا يتحدثن عن الازياء الحديثـة ، وانمـا يتحدثن ويتساررن عن اصدقائهن الذين دعاهم داعي الوطن فلبوا نداءه غير هيابين ولا وجلين، وعن زوجات هؤلاء وعن اطفالهم الذين غادروهم وراءهم في ارض الوطن .

لقد ندرت ابتسامة المرأة ، لكنها اصبحت اكثر حناناً من ذي قبل . فكأنها اذ تبتسم ترى من خـلال دخان القنابل ونيران المدافـع ، وجوهاً عزيزة عليها خلفتهن وراءها ومضت الى ساحة الوغى لترفـع من شأن الوطن . وانك لتتمثـل ساحة الحرب وقد اصطبغت بهـا وجوه الجماعات ، بينما هم يتناولون الطعـام او يشهدون التمثيـل . والفكرة السائدة في مجالي اللهو هذه هي ان تهيء فرصة مرحة لاولئك الجنود قبل ان يلقوا بانفسهم في نار المعركة ، او لهؤلاء الاخرين الذين عادوا الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



« فليت ستريت »

لندن في اجازة قصيرة لزيارة اهلهم وذويهم ، كي ينسوا ايام الشتاء القارسة التي قضوها في قتـال العدو .

لندن هي أكبر مدن العـالم على الاطلاق ، ويبلغ عدد سكانها ٩٠٠٠٠٠٠ نسمة اي ثلاثة اضعاف سكان سوريا ولبنان وتبلغ مساحتها ١١٧ ميلاً مربعاً . ولقد كان لها من عظم شجاعة ابنائها مـا جعلها تصمد لتلك الغارات الالمانية البربرية التي توالت عليها ليلة بعد ليلة، اذ كانت القنابل تتساقط عليها بالمئات . فلو قدر لك ان تقيم بها ليلة في اثناء احدى الغارات الشديدة لقضيت مما تشاهد وتسمع عجباً، ولسمعت صوت القنابل يقصف وصوت المدافع المضـادة للطائرات يتردد صداه ، ولرأيت كل من وكل اليهم القيام بمهام خاصة يقومون بهـا على أكمل وجه . فاذا ما اسفر الصبح لذي عينين وانقشعت سحائب تلك القذائف الالمانية الاثمة شاهدت بعض البيوت وقد تهدم ، وشاهـدت بعضها الاخر وقد اصابه بعض الخلل ، والمواصلات في المدينة تعطل بعضهـا . فما هي الا سويعات قلائل واذا بك ترى الامور قـد عادت الى سيرتها الاولى او كادت ، فها هم عمال الانقاض يقومون بعملهم ، وهـا هي المواصلات قد اعيد تنظيمها . ومما يؤثر عن اهالي لندن عنادهم الشديد وقوة مراسهم . اذكر اني كنت أتعامل مـع مخزن من المخازن ، فأصيب بالقنابل اصابـة مباشرة ، وتهدم الجزء الاعظم من ذلك المحل وحسبت ان هذا هو آخر العهد بالتعامل معه . ولشد ما كانت دهشتي عندما مررت بالحي الذي فيه ذلك المخزن فرأيته مفتوحاً مرة أخرى في موضع مجاور .

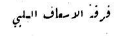
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما زاد دهشتي ان هذا الامر تكرر ثلاث مرات ، وفي كل مرة لا يفت في عضد اصحاب ذلك المحل ، بـل يصرون على ان يهزأوا بهتلر وجنوده ، دعـاة الفساد في الارض ، ويقيمون بذلك دليلا حسياً على صلابة عنصرهم وعظم صبرهم ، وما ذلك المثل الذي اضربه الان الا واحد من امثلة متعددة يقع النظر عليها في كل شارع وفي كل حي .

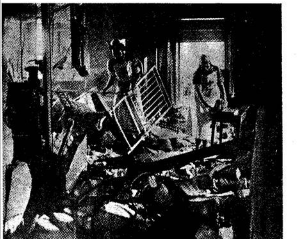
واينما حللت في لندن ، وحيثما توجهت في تلـك المدينة العظيمة ، تجد رجـالاً ونساء في ملابسهم العسكرية ، وهؤلاء ليسوا من رجـال الجيش العاملين ، بل القسم الاكبر منهم يقومون بكثير من اعمال الدفاع السلبي الذي يساهم الجميع فيه ،والذي انخرطوا على بكرة ابيهم في سلكه . فهذا ضابط في سلاح الطيران ، وذلك في الاسطول الحربي ، وذاك بحـار في احدى المدمرات ، او ضابط في احدى الغواصات ، وتلك شرذمة من البحارة الذين يعملون في المراكب التجاريـة، واولئك الذين كان لحسن بلائهم ولما يتجشمونه من اخطـار متواصلة ، الفضل في وصول المؤن والذخائر الى تلك البلاد .

وليس كل من تصادفهم ممن يرتدون الملابس التي تنبيء ان للابسيها صفة ما في شرف الدفاع عن الوطن،من رجال الجيش العامل ، بل ان جزءا كبيراً منهم يقوم بأعمال الدفاع المدنية من حراسة في المناطق البحرية الى مساعدة في الحراسة الليلية ، الى التطوع في اعمال الحريق او في اعمـال الاسعاف ، ولكل فئة من هؤلاء ، أرجالا كانوا ام نساء ، لباسهم الخاص الذي يتميزون به عن غيرهم .

لقد وقف اتساع لندن وشجاعة اهلها حائلين بينها وبين الالمان ، وما يريدونه بها من سوء . فلقد صب عليها القوم سوط عذابهم ما يقرب من عامين . ولا يمكن ان نقول ان ذلك لم يلحق بها ضرراً مـا ، بل هو قد الحق بها بعض الاضرار ، وهدم بعض المنازل والمنتديات ، وقضى على كثير من دور العلم ومتاحفه ومكاتبه ، ومات من سكانها عدد غير قليل . ولكن كما قال المستر تشرشل : « اذا أريد ان تصبح



فرقة الاسعاف الطبي





كيف تنام لندن بين غارتين

لندن كومة تراب فلا بد للالمان من مواصلة غاراتهم عليها ليلة بعد ليلة مدة اربعين عاماً . »

لقد قلت الغارات على لندن في الاشهر الاخيرة ، واصلح فيها كثير ما افسده الالمان ، وكادت تدب فيها الحياة اليوم كما كانت تدب فيها لاعوام خلت ، لكن القوم لم يخدعوا بتلك الهدنة الموقتة على لندن ، بل انهم يعدون العدة لما قد يفاجئهم الالمان به في مستقبل الايام .

اذا ما مررت بمخابىء لندن ادهشك ما يحدث بها من تغيير وما يطرأ عليها من تحسين، وما اعد للنازلين بها من وسائل الراحة .

فأذا مررت مثلا بمخابىء تحت الارض وجدت ان وسائل اعدادها للاجئين تحسنت تحسناً كبيراً . فقد اعد لكل من اللاجئين سريره الخاص ورقمت هذه السرائر حتى يسهل بذلك على كل لاجىء ان يتعرف الى المكان الذي يمكن ان يلجأ اليه اذا ما وقعت غارة شديدة على لندن . وقد اعدت الان في كل من هذه المخابىء الارضية وسائل الاسعاف ومراحيض للرجال والنساء، كما اتخذ كثير من الاحتياطات الطبية لمنع انتشار الامراض المعدية بين من يأوون الى هذه الاماكن، كما تتوفر الان في هذه المخابىء وسائل التسلية والترفيه عن اللاجئين اليها .

ولا يزال القوم في لندن وفي غيرها من المدن يأخذون حذرهم ويستعدون لما قد يفاجأون به في المستقبل ، فتراهم لا يقصرون اهتمامهم على المخابىء العامة ، بل على المخابىء الخاصة كذلك ، ويشتغل علماؤهم بهذه المسائل ، وقد توصلوا الى نتائج في هذا الصدد ظهرت آثارها الحسنة منذ ختام السنة الماضية .

ويقوم مجلس مدينة لندن البلدي بوضع مشاريع عظيمة بشأن العناية باستغلال الوقت الذي يقضيه الاهالي داخل المخابىء ، وفي نشر الثقافة بينهم والتحدث اليهم في شتى المواضيع العلمية . ويقوم المجلس بدفع مرتبات مدرسين يشتغلون في معاهده الليلية ، لكي يذهبوا الى اي مخبأ من المخابىء الارضية يمكن فيه تنظيم فصول دراسية خاصة .

ولقد تألفت في كل قسم من الاقسام الادارية لمدينة لندن لجنة خاصة مهمتها العناية بمسائل التعليم في المخابىء . فلكل مجموعة من الناس تريد ان تدرس فرعاً خاصاً من العلوم او الفنون ان تبدي رغبتها هذه الى القسم الاداري في الحي الذي يقوم فيه مخبأهم ، فيرسل اليهم المدرسون اللازمون، ومجلس لندن البلدي هو الذي يقوم بدفع مرتباتهم .

ولقد كانت الفصول الدراسية على اختلاف انواعها تعقد طوال الشتاء الماضي في مختلف المخابىء الارضية في جميع نواحي لندن ، وأهم المواضيع التي كانت موضع البحث والدراسة هي التاريخ واللغة والرحلات والمناظرات التي كانت تعقد للمناقشة في الحوادث الجارية .

وكان من احب المحاضرات اليهم ما كان خاصاً بطرق فلاحة البساتين والعناية بالحدائق وتنسيق زهورها وطرق زراعة الخضار المختلفة . وقد تحققت من عهد غير بعيد مشاريع ترمي الى تنظيم عدة مباريات ومنح جوائز في معظم تلك الفروع العلمية والفنية ، وذلك لحث جمهور الشعب على الثقافة العامة والاستزادة من مناهل العلم .

واذا ما طفت بشوارع لندن الان وقع نظرك على كثير من المآسي التي ان دلت على شيء فلا تدل الا على وحشية اولئك الالمان وتعمدهم احياناً توجيه هجماتهم ضد المدنيين العزل . فاذا ما ذهبت الى ضفاف التاميز ، ذلك النهر الخالد ، لفت نظرك ما حل بدار البرلمان الانكليزي وما جاورها من المباني القديمة الاثرية التي لها روعة خاصة والتي تلقي في قلب الناظر اليها شعور هيبة واجلال . لكن هذا لم يأت بالغرض الذي كان يرجى منه ، فالروح المعنوية في الشعب هي اقوى ما تكون . وبعد ما ضربت دار البرلمان بالقنابل كان جميع اللندنيين يرددون هذه الكلمة : « ان ارواحنا ليست متعلقة بالمادة » .

ان ساعة « بغ بن » ما زالت تدق وتسير بانتظام ، كما كان العهد بها من قبل ، وما زال ذلك البرج العالي الذي يحمل تلك الساعة ماثلا للاعين رغم تلك الليالي التي مرت بالعاصمة البريطانية ، ولونها الذهبي الاصفر يتألق عندما تشرق عليها الشمس وتنعكس اشعتها الصافية عليها ،

وما زال نهر التاميز على ما هو في مسيله . ان زائر هذا الحي من لندن -حي وستمنستر- وهو عبارة عن سلسلة من آيات الفن القديم التي تضم جوانبها كثيراً من آيات الفن الحديث ايضاً يعود بالذكرى الى التقاليد القديمة الخالدة في نفس الشعب الانكليزي .

عائلة لندنية تتناول الطعام



ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكن هناك قليلا من التغيرات التي طرأت على ذلك الحي ، فحولته من جو سياسي واقتصادي الى جو حربي . كذلك ما زالت البواخر والزوارق تمخر عباب نهر التاميز الجذاب ، والعربات والسيارات تعبر فوق القناطر المتعددة التي بنيت فوقه من شاطىء الى آخر ، وابنية المجلس النيابي البريطاني تطل على هذا النهر شاهدة بأنها مفخرة من مفاخر الفن المعماري ، أو هي ، كما وصفها امبراطور روسي معاصر « حلم في حجر » .

لقد تهدم بعض ذلك البناء . وكان من بين الاماكن التي اصابتها القنابل الطائشة قاعة المناقشات في مجلس العموم البريطاني ، بما فيها من مخلفات تاريخية ثمينة . وفي تلك القاعة التاريخية انجز كثير من الامور والمهام منذ ما يزيد على الثمنين عاماً . وتهدمت كذلك قاعة وستمنستر التي هي اقدم جزء في هذا البناء ، وكانت قد نجت بأعجوبة من حريق البرلمان الذي شب عام ١٨٣٤ . وكان للجهود الجبارة التي بذلها رجال المطافىء اليد الطولى في انقاذ الجزء الاعظم من سقف تلك الصالة الذي يرجع تاريخه الى القرن الثاني عشر .

ومما هو جدير بالذكر الاهتمام الزائد الذي بذله البريطانيون في بناء دار مجلسهم النيابي منذ قرن من الزمان . فقد تبارى في تصميم ذلك البناء ٩٧ مهندساً معمارياً وقدم نحو من ١٤٠٠ تصميم للبناء . وبلغت التكاليف النهائية ٢١٩٨٠٠٠ جنيه .

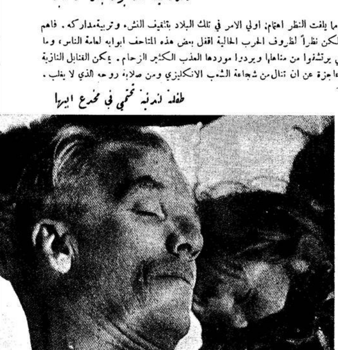
اصابت القنابل فيما اصابت حي المتاحف العلمية وهي جنوب كنزنجتون ، الا انها لم تمس هذه المتاحف الثمينة التي تعتبر كنزاً من اثمن كنوز العلم في لندن — في الصميم ، بل سلم الله الكثير منها اذ لم يصب الا بسوء قليل . وقد اصاب بعض القنابل المحرقة سقف دار متحف التاريخ الطبيعي البريطاني فأحرق بعضاً من محتوياته .

كاتدرائية سانت بول بعد الاصابة

على ان كل هذا قد اعيد ترميمه واسترجع المتحف رونقه القديم . ومما يلفت النظر اهتمام اولي الامر في تلك البلاد بتثقيف النشء وتربية مداركه . فاهم غرض تبنى من اجله المتاحف هو نشر العلم خصوصاً بين الناشئة . لكن نظراً لظروف الحرب الحالية اقفل بعض هذه المتاحف ابوابه لعامة الناس ، وما يزال بعضها الاخر يرحب بالناشئة ويفتح لهم الباب على مصراعيه كي يرتشفوا من مناهلها ويردوا موردها العذب الكثير الزحام . يمكن القنابل النازية ان تهدم كثيراً من الابنية ، وان ترهق كثيراً من الانفس ، لكنها عاجزة عن ان تنال من شجاعة الشعب الانكليزي ومن صلابة روحه الذي لا يغلب .



في ملجأ « بيكادلي سيركس »



طفلة لندنية تحتمي في مخدع ابيها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انت وجارك

بقلم فريد نجار

•

تأثير المنافسة او المباراة في عمل الفرد

ليس بيننا من ينكر اثر المنافسة والمباراة في اعمال البشر ، وازدياد الهمة والنشاط والحماس في عمل الفرد والجماعة بسبب المباراة والمنافسة . وهذه المباراة هي نتيجة ميل طبيعي في الانسان من جهة ، ونتيجة تربيته من جهة اخرى . فانه منذ يكون طفلا في البيت ثم في المدرسة – من روضة الاطفال حتى يخرج الى العالم – وفي العالم ايضاً، يتعود كسب الجوائز او المدح او الثناء او الدرجات او التقدير الاجتماعي ، او امتياز الدخول في احدى الفرق الرياضية ، او المكافأة المالية ؛ فتصبح المباراة ظاهرة في جميع اعماله وباعثاً لاكثرها . وتظهر في فرديته وانانيته وفي سعيه لبلوغ مركزه الاقتصادي او الاجتماعي او السياسي . وفي الحقيقة انها تظهر في جميع اعماله الاجتماعية أصغيرة كانت ام كبيرة ، كما تكون في كثير من الاحيان الباعث الحقيقي لمعظم اعماله الفردية والاجتماعية .

وتظهر المنافسة بين الافراد وبين الجماعات ، وتكون احياناً بين الجماعات اشد واقوى منها بين الافراد ، لان هنالك روح الجماعة او العصبية التي تدفع افرادها الى التضحية بكثير من مصالحهم الخاصة في سبيل رفع عصبتهم واثبات ذاتها وتفوقها على العصبة او الجماعة الاخرى. وروح الجماعة هي الرابطة التي تربط افراداً ينتمون الى جماعة او نقابة واحدة، وتجعلهم يدافعون عن مصالح كل من تربطه عضويته بالجماعة ويحاولون رفع اسمها واكسابها المجد والفخار ، وتظهر تلك الروح في الانظمة والقوانين التي يتمشى على حبها جماعة من الناس ينتمون الى مؤسسة واحدة مثل نقابة التجار ، او نقابات المحامين او الاطباء او المعلمين او الصحافيين او العمال او عصابات اللصوص . وتظهر ايضاً في التعاون الذي يسود افراد فرقة رياضية او فرقة عسكرية ، وفي روح التآخي التي تسود افراد قرية واحدة او مدينة واحدة او بلاد واحدة او امة واحدة ، والتي نعرفها بالوطنية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتفسح حياة الجماعة مجالا كبيراً للفرد لاثبات ذاته . فمن يشعر بالضعة والضعف حين يكون منفرداً او بين جماعة ارفع منه قدراً يفقد هذا الشعور عند اختلاطه بجمهور من طبقته او جماعة ينتمي اليها . وكما تفسح الحياة العائلية المجال لبعض افراد الاسرة الذين تخيفهم ظروف حياتهم ، للتمتع بالقوة والسلطة ، هكذا تفسح حياة الجماعة مجالا لبعض افرادها للتمتع بقوة متوهمة . فقد يشعر المرء انه ارتفع قدراً وعظم شأناً بمجرد وجوده في ظروف سهلة تبعث فيه الرضا بالنسبة الى ظروف حياته العادية . وفي الانتماء الى الجمعيات والنوادي السرية والعلنية ، ارضاء للنفس واثبات للذات واعتزاز بالجمعية او النادي . وكثيراً ما يكون للجمعيات والنوادي تأثير تهذيبي في اخلاق افرادها افعل من القوانين والانظمة الاجتماعية ، ذلك لانهم يودون ان يحافظوا على سمعة المؤسسة التي ينتمون اليها .

وما اعتزاز الطالب بالمدرسة التي ينتمي اليها والصف الذي هو احد اعضائه ، الا ظاهرة من مظاهر المنافسة الاجتماعية ، وما سعيه لنيل قصب السبق لصفه او فرقته سواء في الاعمال المدرسية ام في الالعاب الرياضية الا مندفعاً بهذا الدافع .

تأثير المباحثة على عمل الفرد والجماعة

للمباحثة الشفوية أهمية كبرى في التأثير على عمل الفرد والجماعة ، وهي حديثة العهد ووليدة التطور الاجتماعي والتمدن. وكثيراً ماينتج عنها تغيرات كبيرة جداً في المجتمع فقد يكون لاقتراح او فكرة يقدمها فرد لجماعة اثناء النقاش اثر عظيم في حياة تلك الجماعة . واذا كان الفرد نابغة واتى بافكار خارقة وممتازة فانها ترفع مستوى معيشة الجماعة بكاملها او الامة بأجمعها، بل ربما العالم باسره .

وهنا يظهر ايضاً اثر المناقشة المشتركة بين جماعة او صف في تحريك افكار المتناقشين وفتح ابواب جديدة للبحث امامهم . وربما كان

هذا من اهم الاسباب التي بعثت على التعلم المشترك،اي اشتراك جماعة من الطلاب في صف واحد يعلمهم معلم واحد في آن واحد .

هذا من حيث الجماعة . اما المباحثة الفردية مع فرد واحد وارشاده وتوجيهه الاتجاهات الحسنة ، فلا تقل اهميــة . فكم من فتى فاسد اصلح بهذه الطريقة ، وكم من طالب كسول اصبح مجتهداً بها ايضاً . وقد يكون للمباحثة الفردية اثر عكسي اذ يحـل التضليل والاغراء محل الارشاد والتوجيه الحسن ، وتكون النتيجة افساد المرء ، وكم من فتى صالح افسد بهذه الطريقة .

تأثير التشجيع وعدم التشجيع في عمل الفرد

ليس يخاف على احد ما لتشجيع المرء وتنشيطه بالمدح والثناء عليه ، وحثه على الاستمرار في الاجتهاد ، من الاثر البعيد في مضاعفة جهوده وبلوغه النجاح ، واكسابه الثقة بالنفس التي هي اساس النجاح والتقدم . وليس تشجيع جمهور المتفرجين للفرق الرياضية المتبارية الا نتيجة لهذه الحقيقة ، كما ان اعطاء الجوائز والمكافآت للمتبارين سواء أكان في الامور العقلية ام الجسدية هو من نتيجة هذه الحقيقة ايضاً .

وقد قام البعض باجراء التجارب على الرياضيين والطلاب والعمال في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية ، فوجدوا ان نجاح هؤلاء قد زاد عندما شجعوا اثناء قيامهم باعمالهم ، بما يقرب من خمسين بالمائة في بعض الاحيان ، بالنسبة الى الاوقات الاخرى حين لم يشجعوا . ولا يخفى على احد ايضاً ان توجيه كلام التأنيب والتوبيخ والزجر الى المرء ، وعدم تقدير جهوده ومهارته ، لمما يثبط عزيمته ويفقده ثقته بنفسه ، ومن فقد ثقته بنفسه فقد النجاح . ويضع كثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع التأثير بالمديح او الثناء ، واللوم والتأنيب ، في طليعة العوامل التي تؤثر في سلوك الفرد ، ويعتبره البعض العامل الوحيد في ذلك . وان انس فلن انسى ابداً الحادث الآتي الذي اختبرته بنفسي :

كان احد الطلاب المعروفين بالذكاء والنباهة عرضة لسخرية معلمه ، وكان معلمه يقذفه بقارص الكلام امام رفاقه بمناسبة او بدون مناسبة ، ويصفه بالضعف والبلاهة واحياناً بالغباوة . استمر الحال هكذا سنة ونصف السنة حتى نشأ في هذا الطالب اعتقاد بضعفه رغم اقتداره وذكائه ، فصغر في نظر نفسه وفقد ثقته بها واصبح خجولا يخشى ان يتكلم امام الناس خوفاً من انتقادهم وسخريتهم ، ويخشى ان يتكلم في الصف او ان يجيب على سؤال خوفاً من الانتقاد والسخرية . واستمر هكذا حتى انتقل الى احدى المدارس العالية ، وهناك بعد مرور ثلاث سنوات اكتشف علة ضعفه واسترجع ثقته بنفسه تدريجاً .

وقد قام بعض رجال التربية بتجربة في هذا الباب على طلاب المدارس ، اعطوهم فيها اختباراً معيناً في الذكاء ، وسجلوا نتائجه ، ثم اعادوا ذلك الاختبار بعينه بعد مرور بضعة ايام على الطلاب انفسهم ، لكن تحت ظروف غير الظروف الاولى . فقد قسموا الطلاب الممتحنين الى ثلاثة اقسام : قسم اثنوا عليه ومدحوه قبل الامتحان ، وقسم ذموه وانبوه فثبطوا عزيمته قبل الامتحان ، وقسم لم يمدحوه ولم يذموه . ثم قابلوا بين نتائج الطالب الواحد في الامتحان الاول والامتحان الثاني ، فوجدوا ان الذين مدحوا وشجعوا قبل الامتحان الثاني نالوا درجات اعلى من درجاتهم في الامتحان الاول ، والذين ذموا ولم يشجعوا نالوا درجات اوطأ . فاستدلوا من ذلك على ان الثناء والتشجيع ينشطان المرء ويزيدان قوته على العمل ، وان التوبيخ والتأنيب يثبطان عزيمته وينقصان من همته في العمل .

وفي ذلك عبرة بليغة لجميع الآباء والمربين الذين يسترسلون في شتم اطفالهم ورميهم بالكلمات الجارحة — خاصة امام الآخرين — ان ارتكبوا خطأ ، أبسيطاً كان ام عظيماً ، والذين يظهرون عيوب ابنائهم ونقائصهم بصورة مجسمة مبالغ فيها ، فيكسرون نفسية اطفالهم ويفقدونهم ثقتهم بانفسهم ، فينشأون تعوزهم الجرأة الادبية والشجاعة .

اننا لا نوصي بالمديح او التشجيع دون قيد ولا شرط ، لانه اذا لم يحسن استعماله يبعث على الغرور والاعتداد بالنفس واحياناً فتور العزيمة كما اننا لا نوصي بعدم التوبيخ او التأنيب دائماً وفي كل مناسبة ، اذ هنالك حالات يكون فيها للتأنيب ، اذا كان منصفـاً ، تأثير عظيم في اثارة حماسة المرء وحمله على مضاعفة جهوده لكي ينال رضا الناس وثناءهم وتقديرهم . ولكن مهما يكن من الامر فان خطر المديح والتشجيع — ان كان منهما خطر — اقل بكثير من خطر الذم وتثبيط العزيمة .

تأثير الايحاء او آراء الغير في اعمال المرء

من الحقائق العامة التي يعرفها الجميع ان المرء عرضة للتأثر بآراء الآخرين والعمل بها احياناً ، كما انه يتأثر من مشاهدتهم يقومون باعمالهم

امامه، وقد يقلدهم عن روية او غير روية احياناً . وكذلك تخيل الشيء او تخيل العمل قد يدفع الانسان للقيام به احيانـاً ، وامثلة ذلك كثيرة في الحياة . وفي التجارب الآتية التي قام بها احد المشتغلين في هذا الباب توضيح لما اعني :

سدت عينا رجل واوقف امام القائم بالتجربة عليه ،وقد كانت الغاية من التجربة معرفة مقدرة الرجل على الثبوت دون ان يتحرك بعد ان يسمع ايعازات مختلفة من ممتحنه تبعثه على الحركة . فقال له الممتحن ما يلي : « تشعر الآن بانك تهوي الى الامام، وقد بدأت تهوي . . نعم لقد هويت قليلا، والآن اكثر واكثر الخ .»فكانت النتيجة ان الرجل اصبح يتمرجح تدريجاً تارة الى الامام وطوراً الى الوراء، واخيراً اضاع موازنته وكاد يسقط لو لم يمسكه الممتحن .

وفي تجربة ثانية قال الممتحن لرجل آخر:«تصور نفسك الآن تهوي الى الامام، ثم تصور نفسك تهوي الى الوراء . .»وهكذاحتى اثر فيه بمثل هذه العبارات وبدأ يترنح مرة الى الامام واخرى الى الوراء .

وربما سمع بعضكم النبأ التالي الذي ان لم اكن واثقاً من صحة مصدره الا انه يدل على ما لآراء الناس وايعازاتهم من التأثير على اعمالنا : يحكى ان بعض المشتغلين بهذا الموضوع اجروا التجربة الآتية على احد المجرمين الذين حكم عليهم بالاعدام ، لكي يتأكدوا من مقدار تأثير الايحاء او الايعاز على عمل المرء . سدوا عينيه وقالوا له : « بما انه قد حكم عليك بالاعدام فاننا سنميتك ميتة لا الم فيها، وذلك باستنزاف دمك حتى تموت دون ان تشعر . » ثم وخزوه بدبوس وخزة ضعيفة واتوا بماء دافىء يمثل درجة حرارة دم الانسان واخذوا يصبونه تدريجاً نقطاً نقطاً على مكان الوخزة . فتصور المجرم ان ذلك الماء الدافىء هو دمه يجري وانه سيستنزف حتى يموت . وهكذا استمر الامر حتى مات في النهاية . قلت انني لست واثقاً من قيمة هذا الحادث العلمية ، غير ان فيه بعض الدليل على درجة تأثرنا بآراء الغير واقتراحاتهم .

واذكر فيما يلي حادثاً جرى لرفيق لي في ايام الدراسة الابتدائية يتجلى فيه بوضوح مقدار التأثر باعمال الناس واقوالهم :

كان صديقي هذا ذا صوت كريه اشبه بصوت الغراب ، ويتمنى لو كان ذا صوت جميل . فسمعنا مرة نتحدث عن صديقنا «نسيب» وكان ذا صوت حسن ، فقال احدنا ما اجمل صوت نسيب احقاً انه قد تحسن كثيراً . ولا شك ان ذلك يعود لكثرة تدربه وتمرنه على الغناء . فبدأنا من ذلك الحين نلاحظ ان صاحبنا ذا الصوت البشع اخذ ينشد كلما سنحت له فرصة ، ولما سألناه ما هذا التطور الجديد يا صاح ؟ قـال اريد ان احسن صوتي كما حسّن نسيب صوته .

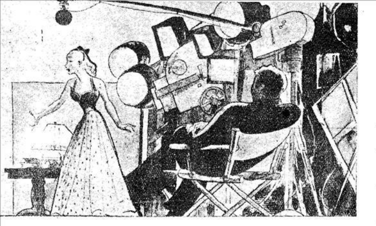
هذه الحوادث وحوادث اخرى كثيرة تثبت ما للتقليد والايحاء وآراء الغير من التأثير في اعمال المرء وتفكيره وعواطفه . وان من يقوم بتمثيل دور ما في الروايات التمثيلية مثلاً يشعر بالحالات العاطفية التي تتمثل في ذلك الدور ، كما ان كثيرين من مشاهدي التمثيل في المسارح ودور السينما يشاركون الممثلين بعواطفهم فيتهيجون معهم ويبكون لبكائهم ويتألمون لآلامهم ويفرحون لافراحهم . ويخشى كثيرون من الناس ان يقوموا بتمثيل دور الوغد الخائن ويفضلون دور الشريف ذي الاخلاق العالية . ولذا كانت الروايات التمثيليـة ودور السينما من العوامل الفعالة في نشر التربية والصفات الجيدة، وهذا هو السبب الذي من اجله يفضل القائمون بالتربية ، الساهرون على المصالح العامة واخلاق المجتمع، اختيار الشرط السينمائية التي تتمثل فيها الصفات الطيبة والاخلاق العالية والعواطف السامية ، ويمنعون الشرط التي تتمثل فيهـا سفالة الاخلاق من ان تعرض على الجماعة .

وكم نشاهد بين المتفرجين على لاعبي كرة القدم مثلاً من الذين يأخذهم الحماس عند مشاهدة اللاعبين، فيرفعون ارجلهم احياناً ويضربون بها الهواء كما لو كانوا يضربون كرة حقيقية .

واذا كنت تعرف ان تقود سيارة وجلست مرة قرب السائق، ثم اتى في طريق السيارة ما يضطرها الى الوقوف السريع، فـلا بد انك ضغطت بقدميك على ارض السيارة كما لو كنت تضغط فعلاً على موقفها ، كما يفعل السائق الفعلي .

وامثلة هذا التقليد والتأثر باعمال الغير واقوالهم ، ثم النسج على منوالهم ، كثيرة جداً في المجتمع . ويوجد اناس ضعفاء الشخصية لدرجـة ان لا رأي لهم في الحياة، ومعظم اعمالهم تقليدية ، يتأثرون بما يسمعونه من الناس او بما يشاهدونه فيعملون على حسبه ، وبعبـارة اوضح ، يعيشون بافكار غيرهم .

جامعة بيروت الاميركية — فريد نجار



الايقاع روح الاخراج السينمائي

بقلم رفيق الاختيار

ليس الفلم مجموع اعراض وكيفيات مختلفة من صور ولون وصوت، لا رابطة بينها ولا منطق فيها. فليس تتعاقب الـ ١٢٥٠٠٠ صورة التي يتألف منها الفلم السينمائي دون ما سبب ظاهر كأنه ناشيء عن مصادفة او اتفاق، لا رابط يربطها ولا صلة تجمع بينها سوى انها صورت وطبعت على قطعة فلم واحدة، بل بالعكس تماماً. فهي تتابع تبعاً لاصول معينة وروابط متينة يقتضيها سياق الفلم .

وكما ان تتابع النغمات في الموسيقى وتتابع الحركات في الرقص والالفاظ في الكلام يكون وفقاً لقواعد واصول معينة تتطلبها المبادىء الاساسية التي يقوم عليها كل فرع من هذه الفروع ويسمونه تارة الايقاع، واخرى انسجام الحركات، او تناسق الالفاظ، كذلك فأن تتابع الصور الفلمية ايضاً وفقاً لاصول ومبادىء ثابتة، يبدو في كيفية سرد حوادث الفلم وسياقها بالنسبة الى بعضها . وبعد ان يكون الفلم مجموعة حوادث مختلفة كل منها على حدته يأتي صانع « المونتاج » فيركب هذه الحوادث ويرتبها ضمن نظام خاص هو الايقاع Rythme .

بيد ان السينما في ايقاعها تختلف اختلافاً تاماً عما عودتنا اياه الموسيقى وما عرفناه في الرقص من انسجام في الحركات وتناسب في النغمات . ففيها اذن ايقاع من نوع آخر يجمع بين ايقاع الصور الزيتية الذي هو وليد التناسب، تناسب الاوضاع والالوان في اشكالها وكيفياتها، وايقاع الموسيقى الذي هو وليد النغمات .

لهذا يقسم المشتغلون في فن الفلم الايقاع الى قسمين : « ايقاع داخلي » وهو ايقاع كل صورة الخاص بها، « والايقاع الخارجي » وهو الايقاع الذي يخلقه تتابع الصور تبعاً لوحي الفنان وضرورة الحادث . ونطلق على القسم الاول « الايقاع الجزئي » وعلى الآخر « الايقاع الكلي او العام » .

●

الايقاع الجزئي : الايقاع الجزئي او الداخلي هو ايقاع كل صورة الخاص بها، جامدة كانت او حية، اي الايقاع الذي تخلقه العناصر المؤلفة للصورة من زخرف، الى ادوات، الى اشخاص . وهذا النوع من الايقاع جد شبيه بايقاع القطع الزيتية ويسمونه احياناً « الايقاع التوازني » اذ يستند، كما بينا، الى التناسق والتناسب الكائنين في « المرئي » . وهذا ما يعبرون عنه في عالم التصوير الزيتي بـ « انشاء الصورة » . وتلعب الاضاءة وزاوية الالتقاط والالوان في الفلم الملون دوراً مهماً وعظيماً في تأمين هذا الايقاع، اذ هو قائم قبل كل شيء على ان يكون الاثاث مرتباً ومتناسقاً ومصوراً من احسن الزوايا، ومضاء وملوناً بصورة متناسبة لا متنافرة . ومن المعلوم ان تناسب الاوضاع والاشكال والكيفيات هو الذي يوجب حسن الشيء في المرئي .

●

الايقاع العام او الكلي : لا غرو ان الجمهور اليوم يلاقي بالتذمر الافلام التي جن بها العالم جنونه منذ نصف قرن، وسوف لا يجد ذينك اللذة والجمال اللذين شعر بهما جمهور القرن الماضي عندما شاهدوا للمرة الاولى اول فلم من الصور المتحركة وهو « قدوم قطار » للاخوين « لوميير » . ولا يمكن ان يشعر بتلك اللذة وذاك الجمال، لان لوميير واخاه لم ينشدا، فيما صوراه وعرضاه آنئذ، اكثر من اثبات ان السينما وسيلة



فوتوغرافية ناجحة لايجاد الحركة من صور جامدة . وقد بقيت على حالها هذا حتى مطلع القرن الحاضر ، مجرد اشخاص تبدو وتروح ، لا لشيء سوى التنقل فوق الشاشة .

لكن هذه الحركة كانت تعوزها الحياة ، اذ لا يكفي ان يكون التتابع والحركة ناشئين عن المصادفة والاتفاق ، ولا بد من عناصر ومبادىء اساسية ، بحسبها تتابع وتجمع الصور الفلمية لتعطي الحركة والحياة اللتين هي بحاجة اليها والعنصر الاساسي هذا هو الايقاع الخارجي او الكلي . فالصور الكثيرة التي يتألف منها الفلم والتي تتجاوز الـ (١٢٥٠٠٠) لا تتتابع اذن مستقلة ، واتصالها وتسلسلها ليس فقط لاجل حدوث الحركة كما كان الحال في فجر السينما ، ولا هو مقتصر على وحدة الحادث المجردة ، بل ان صلتها ببعضها هي اعظم . فهناك تتابع منسجم متناسب يصل بين الصور الملتقطة من زاوية واحدة ومن الزوايا الاخرى ، ويسير هذا التتابع وفقاً لما يقتضيه سياق الفلم . ويمكننا ان نرجح نجاح الافلام الاميركية الى مسايرتها لعناصر الحياة واهمها الحركة ، ثم لوضعها اللوحات السينمائية (الصور الفلمية) في امكنتها ، اي مجيء الصورة في المكان المناسب لها بالنسبة لسابقتها ولاحقتها ، حتى انه لم يعد للتمثيل اهمية في الافلام تعادل اهمية « الايقاع » فانصرف مخرجو السينما الى تأمين « ايقاع » جيد للفلم قبل كل شيء ، من مراعاة طول الصور ووضعيتها واتصالها ، اذ ان الايقاع الخارجي هو عنصر اساسي من عناصر نهوض الفلم .

●

ايقاع الافلام : ليس ايقاع الفلم وحدة ثابتة من اوله حتى نهايته ، بل يختلف بين التسارع والتباطؤ تبعاً لسياق الفلم والحوادث . ولما كان من الضروري اعطاء المتفرج فكرة اساسية عن عقلية ابطال الفلم وجو الحوادث ، لكي يتسنى له فهم التطور الذي يطرأ عليها في اثناء العرض ، نرى الافلام عامة تتبع في بدئها ايقاعاً بطيئاً لا يلبث ان يأخذ في التسارع في النصف الاخير . لكن هنالك افلاماً تسير منذ البداية حتى النهاية على وتيرة واحدة تقريباً من السرعة او البطء . ويرجع هذا الى المدرسة التي ينتمي اليها ويحبذها المخرج ، فالمدرسة الروسية مثلا تأخذ باسباب الايقاع البطيء ، بينما نرى الاميركية تأخذ باسباب السريع منه ، ولذا تمتاز بالحركة . وما الايقاع البطيء الا نتيجة الاقلال من تبدل المواقف ، بينما السريع هو كثرة تبدلها . وتمتاز عادة الافلام والمواقف الهزلية عامة بايقاعها السريع ، بينما العاطفية منها بطيئة . ويكفينا مثالا افلام المخرج المعروف « جون ستاهل » الذي اتحفنا بمجموعة من هذا النوع مثلت اغلبها « ايرن دون » . والحق يقال ان ايقاع الفلم يتبع من حيث سرعته وبطئه الموضوع الذي يعالجه . فالموضوع والحالة هذه هو روح الايقاع ، يختلف تبعاً له وللموقف ايضاً ، وهو في المواقف العاطفية غيره في المواقف الهزلية .

الايقاع اذن هو روح الفلم ، والفلم القوي هو الجيد الايقاع . فلا جمال الزخرف ولا الاضاءة ولا التصوير تنقذ فلماً سف ايقاعه الكلي .

نعم ، ان هناك مخرجين يصرفون جل اهتمامهم الى الصورة المفردة « كفريتز لانغ » مثلا ويلقبونه « بالرسام الزيتي » دون الالتفات الى الايقاع الكلي ، لكن امثاله قليلون يعتمدون في افلامهم على نواح معينة لا يمكن سواهم ادراكها .

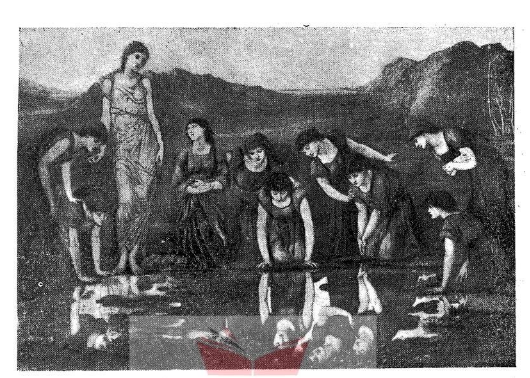
ولكل مخرج في العالم ميزته . فمنهم الموسيقي في ايقاعه ، والشاعر في اسلوبه ، والمسرحي في اخراجه . وكل هذا يفيدنا في التمييز بين مخرج وآخر دون الرجوع الى قراءة اسمه .

ويقودنا البحث في ايقاع الفلم الى التحدث عن علاقة السينما بالفنون الاخرى وما اخذته عنها من طرق فن وقواعد ، ومدى تأثرها بها . وسنبلغ بذلك نتيجة طالما بحث فيها المشتغلون في السينما ودافعوا عنها وهي : ان السينما فن مستقل عن الفنون الاخرى له قواعده وطرقه الخاصة به .

دمشق — رفيق الاخبار



ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



مرآة عشتروت : لوحة للرسام الانكليزي بورن جونز ١٨٣٣ - ١٨٩٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عشتروت

بقلم
الدكتور حبيب ثابت

اسم عشتروت فيه اشراق ، وفيه سحر ، ورنين بعيد حلو المواقع . وهي في الاصل آلهة كنعانية تسربت عبادتها الى العبرانيين كما ان التوارة (١)قد ذكرتها في مواضع شتى .

ويرى فريق من المؤرخين ان اسمها ليس بسامي الاصل ، ويرى الفريق الآخر عكس ذلك حيث يرجعه الى السامية . اما في العربية فهي « الزهراء » بعينها ربة الحب والحياة .

وما كاد الكنعانيون يعتنقون عبادتها بعد الغزو العبراني لارضهم حتى امتزجت عبادتها بعبادة باعال وان كان النبي صموئيل قد حرم عليهم السجدة لاسمها .

---

(١) سفر القضاة - الاصحاح الثاني العدد ١٢ و ١٣ : « وتركوا الرب اله ابائهم الذي اخرجهم من ارض مصر وتبعوا آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها واسخطوا الرب،وتركوا الرب وعبدوا البعل والعشتاروت .»

الاصحاح الثالث العدد ٧ :«وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب الههم وعبدوا البعليم والعشتاروت .»

الاصحاح العاشر العدد ٦ : « وعاد بنو اسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت الهة ادام والهة صيدون والهة مواب والهة بني عمون والهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه .»

صموئيل الاول الاصحاح السابع العدد ٣ و ٤ : « وكلم صموئيل كل بيت اسرائيل قائلاً ان كنتم بكل قلوبكم راجعين الى الرب فانزعوا الالهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم . »

الملوك الثالث - الاصحاح الحادي عشر العدد ٤ و ٥ : « وكان في زمن شيخوخة سليمان ان ازواجه ملن بقلبه الى اتباع الهة غريبة ، فلم يكن قلبه مخلصاً للرب الهه كما كان قلب داود ابيه وتبع سليمان عشتاروت الاهة الصيدانيين وملكوم رجس بني عمون . »

وبين الالهات اللاتي رفع البشر لهن الهياكل المقدسة عشتروت صيدون التي ظلت عبادتها قائمة الى ان جاء الملك « آسا » الثالث بعد سليمان فقوّض هيكلها في اورشليم ودكه الى الارض .

وبعد ان منعت ديانتها في اليهودية عادت اليها ، اثر المصاهرة التي جرت بين بيت عمري وملوك صيداء ، اذ اقترنت « ايزابيل » « باكاب » على ما روته التوراة ، وحملت معها الى اليهودية عبادة بعل وعشتروت .

ان تأليه المرأة يرجع الى ابعد الادوار في التاريخ البشري ، كما ان بعض العبادات القديمة لم تترك آلهاً اعزب ، فكان عندها لكل آله زوجة آلهة ، بل طالما عقد الزواج في عالم الالوهية القديم ولكن دون ان تفقد الآلهات شيئاً من سلطانهن السماوي بالرغم من الانوثة والزواج كما قال « فالهوزن » الالماني . فقد ظل لهن الدور الخاص على المذابح ، حُرّات فيه طليقات ، على ابعد ما تكون الحرية والطلاقة . فزوجة الاله لم تكن له من جهة اللحم والدم بمثابة متعة من متع البدن ، ولا بمثابة امرأة تحبل وتنسل . فهي وزوجها آلهان في وحدة روحية متمازجة متماسكة لا تنفرط من ناحية ، وهل كانت « ايشتار » البابلية وعشتروت اللبنانية واللات والعزى في جاهلية العرب نساء في معنى الكلمة وغرضها ؟ . اللهم لا . بل كان لهن السبق على ازواجهن في قلوب الناس وسرائرهم وعلى السنتهم .

ولطالما مثلت عشتروت في بعض الاساطير ببوتقة صهرت فيها ذاتية الالهة جميعاً من ذكر وانثى .

تنظر التوراة الى عشتروت كأنها آلهة صيدونية . وقد وجدوا في ارض « فينيقيا » تماثيل كثيرة لها ، منها تمثال في متحف « اللوفر » يمثلها واقفة على قدميها ترتدي حلة متهدلة وفي يدها حمامة ، والحفائر الفينيقية اظهرت عظمة عبادتها في صيدون حتى لقد رأينا ملوك تلك المدنية العريقة يوردون اسم الكاهن العشتروتي قبل اسم الملك ، على ما في النقوش الاثرية التي وجدت في بعض النواويس اذ جاء هنالك ما تعريبه : انا « تبنيت » كاهن عشتروت وملك الصيدانيين المسجى في هذا النعش .

ونشر الفينيقيون مذهب عشتروت في جميع الارض التي ظللتها رايتهم . ففي حفريات قبرص ، ومالطه ، وسيسيليا ، وقرطجنة وغيرها ، آلاف من الهياكل في العهد اليوناني الروماني عرفت باسم « افروذيت فينس » .

اما فينيس الزهراء الرابعة فهي الالهة اللبنانية التي عبدت في صور ولقبت بعشتروت وتزوجت من ادونيس على سنة الهوى الذي آخره قتل . وفي كل مكان بين فلسطين وسوريا تقوم بقايا هياكل عشتروت ، فانهم وجدوا في حوران على مقربة من قرية قنوات تمثالا نصفياً لها بين اطلال هيكل قديم .

ولدت عشتروت آلهة الحب والجمال من رغوة الامواج على شواطيء فينيقيا الهانئة ، فحوتها صدفة كريمة كانت لها زورقاً دفعته النسمات الى شطئان جزيرة قبرص ، وامتد ملكها « الارضي » بعد ذلك الى جزيرة سيثاريا بين جزيرة كريت وجبال البالوبونيز .

وكانت عاصمتا فينيقيا الكبيرتان جبيل وصيدا تقدمان عبادة البعلات على عبادة البعال . ففي بيروت مثلا عبدوا بعلة بيروت اي حوريتها ، وعرف من مخلفات الشاعر « نونيس » ان ادونيس اراد عبثاً ان يستولي على حورية بيروت ، وان آلهاً بحرياً حال دون ذلك .

وعبدوا في جبيل حورية جبيل على اسم عشتروت . وعبدوا في صيدون عشتروت التي تسميها التوراة آلهة الصيدونيين ، وكانت الملوك كهاناً لها . وفي « مغدوشة » من ضواحي صيدا ترى الى اليوم الكهوف التي عبدت فيها هنالك .

عشتروت لذة الالهة والناس والملكة المطلقة على الطبيعة ، لولاها لم يكن ضياء النهار ولا فرح السعادة . لذلك دانت لها الارض والسماء وما بينهما من فلك مدار . كانت في البدأة تمثل آلهة للنسل والخصب ، ترتضع من ثديها الدافق ملائك الحب الذين ترسل بهم وبسهامهم بين المصة والمصة الى صميم القلب البشري . وكان ابنها « آروس » صاحب الجعبة والسهام يبعث الشهوات في الخلائق ، اي مرض العشق الذي يتوجه ابداً نحو غرض واحد هو لهب الشهوة الاحمر .

ان لوقراطوص الشاعر الروماني الذي ولد سنة ٩٥ قبل الميلاد المسيحي ، وملأ الكون جمالا ، والذي غنى اسرار عبادة عشتروت وهجا هذه الانتفاضات العصبية التي تنتاب اللحم والدم ، لطالما تضرع الى اهل الحكمة ان لا يسقطوا في وكر الدبابير الى رؤوسهم ، وان يكتفوا بلذائذ الوهلة الاولى ، والغريزة المائلة لفورها . واما جملة رأيه في ذلك فهي ان تجنب الانسان لشهوات الحب يفقد عشتروت نفسها معاني الجمال ، ويكون تجنبه هذا تطاولا على الالوهية !! فضلا عن قضية الاستملاك في الحب التي اثارها « لوقراطوس » قبل « ابيقور » وجعلها تدور على الجدل الآتي : هل التملك في لذة الجسد أولى بهذا البشري الفاني ام الاكتفاء بوله الروح ونزوات المشاعر ؟؟

وكانت عشتروت تجد لذة في الاقامة في قبرص وبافوس وسيثاريا ، وهي الجزر الجذلى المشهورة بزرقة افقها وطيب نسيمها .

وقد تضرعوا بين يدي تماثيلها باسماء عديدة لكل اسم منها معنى :

فذكروا عشتروت الماكرة او المنتصرة ، وذكروا عشتروت الخصبة والملذة ، وعشتروت الارض وعشتروت السماء .

وعبدوا عشتروت اخرى زنجية ذات جمال اسود وشعر مجعد وجلد ناعم بض كعود الابنوس ، من ذلك الحسن الاسود العجيب الذي تيّم بودلير وملأ ديوانه «ازهار الشر» بالزهر الاسود . . وكان زوجها « فيلكان » آله النار قبيح الوجه اعرج قصير اليد متطاول القدم فلم يستطع ان يتمتع بذلك الجمال النضر والوله المتفجر ، فأحسّ من نفسه هوانا وعاراً . واحبت هي الراعي الحلو ادونيس الذي قتله خنزير وحشي في بعض احراج لبنان . وفي اسطورة ان عشتروت خلقت من الموج المالح خاصة ، لا من رغوة الامواج مطلقاً ، فهي كذلك الموج في الخفة والكرور ، وهي مثله ايضاً في الهدوء العميق الذي ينبيء عن هوج العواصف حتى في ايام الصحو . وكم تحت سطح المياه الملساء من مرارة ، ومعاذ الحب ، بالرغم من ذلك كله ، ان تكون صدفات البحر في السواحل الحمراء اكثر عدداً من همومه وعذاباته . .

ليس بين الوجوه التي ابتدعتها الاساطير القديمة ، وجه اشهر من وجه عشتروت . فمنذ بداءة الفكر الانساني ، والملهمون العباقرة من شعراء ورسامين ونحاتين يمثلونها آلهة للحب والجمال . . فهي عندهم القوة الازلية التي ترفع اجنحة الالهة والابطال وتقود البشر على دروب الشهوات . وولادتها الهمت الشعراء والفنانين ، فكانت معهم في جميع تطوافهم النفسي . وقد مثلت في الحجر وهي تحمل السهام الدلالة على الظفر في الحب ، لا في القتال . وكانت في نظر الكثيرين آلهة السماء والضوء التي نثرت قطرات الندى ، وكانت نجمة الصبح ووجه الهلال ، لم تعشق في الالهة الا جماعة النار والنور .

ويقول « اوروبيد » انها هي التي بذرت بذرة الحياة وخلقت الحب ، وان حياتنا فوق هذا التراب دين لها ، وان الطبيعة باسرها استقت الخصب والخير منها ، فهي لذلك تترأس مهرجانات الطبيعة المجددة في الربيع وعلى مفرقها المكلل ورد وريحان ، فينبع الماء في العود وتدب النضارة في الورق على يدها .

واسم عشتروت عذب مستحب ، يبعث الشهوة في قلوب الآدميين ، وفي اعصاب الحيوان . وهي انثى ، ابدية الانوثة حملت الى « الاولمب » جميع وعود الوله واللذائذ ، واحست اجيج الشهوة في صدرها ، بقدر ما اذكت من نارها في ضلوع الناس . وقد حاكت ثيابها انامل آلهة الرقة والظرف . فليس زنارها حين يفك عن خصرها الا الطلسم الفعال (١)

وعشتروت قاتلة الرجال تدفع بالنساء مثلهم في وادي الحب وترجمهم فيه زجاً ، وتوحي كل علاقة مزدوجة في الطبيعة ، فهي مكثرة النسل وحامية النساء المتزوجات ومعطية ميول الزواج للصبايا ، طالما قدمت لها النساء الذبائح والبخور في اعراس بناتهن ، وطالما تضرعت اليها الايامى لترسل اليهن ازواجاً جدداً . . .

ورموز عشتروت في اكثر تماثيلها تشير الى القوى الاساسية المولدة ، والى حفظ الذرية . لذلك ترى ان حب الآس والاثمار الكثيرة البذور قدست على اسمها ، وان الحمام كان يصور الى جانبها دائماً . وفي هذا دليل واضح على تلك الصورة الخلقية التي تمثلت بها . ولقد مثلت ايضاً في اشكال عدة ، فكانت لعبادها منابع تتدفق بمياه الشهوة ، ومواكب مزدحمة للحب تظلل هذه الحياة الدنيا .

وان الذي يقف على تسلسل الاساطير في شأنها يرى انها لم تخص نفسها بدوافق الخير ، بل اورثتها ابنها « اروس » الذي كان شاباً باهر الخلقة ، تقول الخرافة ان الالهة « سلمانيس » رأته يستحم ذات يوم على بعض المنابع فعلقته وتواعدا ، وتعانقا وذابا في خلال العناق حتى اصبحا جسداً واحداً ، وفي هذا دلالة على الاتحاد والتمازج الذي يحدث بين النفوس التي كانت عشتروت تلهب فيها الوقد وتبعث النار . . . عشتروت او الزهرة في « الميتولوجيا » من اشهر المعبودات واقدمها لانها الهة الجمال والحب وكانت عبادتها قائمة باستباحة المنكرات

---

(١) ومما اشتهر في خبر الزهرة منطقتها العجيبة التي كانت تسحر بها الالباب وتدعو القلوب الى الهوى . ومن مزايا هذا النطاق المسحور انه كانت له القدرة ليزيد في جمال الالهات والنساء اللواتي كن يتمنطقن به .

ثم حلت من على الصدر النطاق معلم الطرز موشى باتساق
تعلق اللذات في اكنافه من هوى نفس ووجد واشتياق
واطاريف الحديث المستطاب

الالياذة – النشيد الرابع

وارتكاب القبائح الناشئة عن روح العشق في الطبيعة البشرية . ولذلك اشتهرت عبادتها وانتشرت في اقطار الارض وشاعت بين الامم القديمة كل الشيوع وكانت كل الامم تقيم لها المعابد، وتنحت لها التماثيل ولا سيما الرومان واليونان . لكن اسمها كان مختلفاً باختلاف الامم ، فان الهنود سموها « مايا » و « بهاثاني » والفرس ميترا والفينيقيون عشتروت والاثوريون « اناينس »واليونان والرومان« فينوس ». واصطلح العرب على تسميتها « بالزهرة » لكن لم تعرف عندهم عبادتها بل كانوا يعبدون « الشعرى » في الجاهلية . قيل بل كانوا يعبدونها في الجاهلية ، وصنم (العزى) الذي كان في الكعبة انما هو صنمها . وقد روي من خبرها في كتبهم ما هو قريب من (الميتولوجيا) القديمة بعض القرب فقالوا ان الزهرة اسم امرأة في الاصل كانت من اجمل نساء العالم ، وكانت من اهل فارس وملكة في بلدها، فتجلت لهاروت وماروت وهما في عبادتها على الارض يقصدان الابتعادعن المعاصي . فلما رأياها افتتنا بها وشغفا بحبها . وكانت الزهرة عند الفينيقيين المعبودة الاساسية ومن هناك انتقلت عبادتها الى اليونان . وكان اسم الزهرة اولا شاملا للطبيعةالشهوانية والحب الصحيح المبني على الطهارة لان الامم المتوحشةلم تكن تفرق بين الاعمال الشهوانية ولما يسبقها من حاسات الحب، ولكن لما تقدم الناس في سبيل التمدن فصل اليونان بين زهرةالعشق اي الشهوات وزهرة الحب اي الميل القلبي الطاهر فقالوا (الزهرة العامية) في المعنى الاول و (الزهرة السماوية) او (اورانيا) في المعنى الثاني .

وقالوا ان الزهرة ولدت بالقرب من صخور جزيرة (كيرة) وظهرت هناك بيها، وابهة الجمال الفائق واقفة على صدفة كبيرة يحملها اثنان من (الترتيونة) والزهور نابتة تحت اقدامها وحولها انواع من المعبودات الصغيرة المخصة للالعاب والملاهي واللذات ويجانبها ولدها (كوبيدون) يرشق سهام الحب . ثم حملها (زفيوروس) اي النسيم الى الجزيرة ووكل بتربيتها (الاورة) اي (الساعات) ونقلتها (الاورة) الى السماء. فاذهلت المعبودات بفرط بهائها وسمو جمالها حتى شغفت الباببهم عشقاً ، فهجروا نساءهم لاجلها ، فحسدنها حسداً شديداً وكرهتها (بلاس) و (جونون) خصوصاً كرهاً عظيماً لكنها لم تبال بذلك لما كان لها من المقام والاعتبار عند المعبودات .

ان تاريخ الزهرة مملوء من اخبارها الفاحشة فانها سلكت سبيل العهارة مع المعبودات والبشر ايضاً . فالمعبودات الذين حظوا بها هم (باخوس) و (عطارد) و (المريخ) ومن البشر (ادونيس) وهو اشهر من اشتهر عشقاً لها فاخبرت الشمس (فلكان) بما تفعل امرأته من الفجور ، فعمل شبكة من خيوط فولاذية لا تحرق ، ولفها بها هي ومعشوقها .

واهم الحوادث التي شغلت الشعراء في تاريخ الزهرة حادثتان اولاهما صعود (الاورة) بها الى السماء، واندهاش المعبودات من حسنها، والثانية انتصارها على (جونون) و (بلاس) بالتفوق عليها بجمالها حين حكم لها (باريس) بتفاحة الذهب ففرحت بحكمه جداً وغمرته بانعامها .

وكان بعض الامم يلقبونها بالقاب شتى . فكانت عائلة (اوغسطس قيصر) تخصها غالباً بلقب (الزهرة الظافرة) حتى كان قيصر يكتبه على خاتمه، وبه نادى جيوشه يحثهم على الاقدام في معركة (فرتولاس) و« الزهرة الوالدة »وهو لقب اجري عليهافي رومية في زمن الامبراطوريتين لان نساءهم، بعد ما يخلصن من آلام الولادة، كن ينحتن لهـا تمثالا يجعلن به بين يديها طفلا تلاطفه .

واما تماثيل الزهرة فكانت كثيرة عند القدماء، واشكالها مختلفة جداً ، كل امة تشخصها على النحو الذي يوافقها . فكان اهل (ايس) يشخصونها واقفة على عنز واحدى رجليها على ظهر سلحفاة، وفي (اسبرطه) و (كيرة) مسلحة مثل منيرفا، وفي اولمبيا خارجة من الماء، وحولها معبودات العشق مكللة بالاكاليل ، وفي (سيكونية) حاملة باحدى يديها زهرة خشخاش وفي الاخرى تفاحة وعلى رأسها اكاليل من زهر الخشخاش . وكانت غالباً ممثلة جالسة مع (كوبيدون) على مركبة يجرها الحمام او البجع او العصافير ، ومنظرها من اجمل وابهى المناظر الممثلة للجمال • وقد ذكر المقريزي صفة تمثال لها من عهد (بدراس ابن صا) احد ملوك مصر الاقدمين ، فقال انه بنى في غربي مدينة (منف) بيتاً عظيماً الزهرة واقام فيه صنماً عظيما من لازورد مذهب، وتوجه بذهب ملوح بزرقة، وسوره بسوارين من زبرجد اخضر ، وكان الصنم في صورة امرأة لها صغيرتان من ذهب اسود مدبر وفي رجلها خلخالان من حجر احمر شفاف ونعلان من ذهب ، وبيدها قضيب مرجان، وهي تشير بسبابتها كانها مسلمة على من في الهيكل ، وجعل بحذائها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر مموه بذهب، موشح بجحر اللازورد، ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عمود رخام مجزع، وفي المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها كل اسبوع . »

حبيب ثابت



اسبوع الثقافة في لبنان

اختصت «الاديب» بنشر الاحاديث القيمة التي اذيعت من «اذاعة الشرق» خلال اسبوع الثقافة في لبنان (١٥ – ٢١ شباط ١٩٤٣) ويجدها القراء هنا حسب ترتيبها في البرنامج . وقد افتتح معالي وزير التربية والفنون الجميلة الاستاذ رامز سركيس الاسبوع الثقافي بالكلمة الجامعة التالية :

◆

كلمة الافتتاح

لمعالي وزير التربية والفنون الجميلة

حمل لبنان في القرنين التاسع عشر والعشرين مشعل العلم والادب واحتضن الثقافة . فنشط اعلامه يؤدون رسالة لمسنا امجادها كما لمسها قبلنا الذين عاشوا في تلك الحقبة السعيدة الحافلة بجلائل الاعمال . وكان بنو لبنان دعاة الحق والهدى والجمال : قالوا وفعلوا . فكانت معاهد وطنيـة ، وكانت صحف ومجلات ، ومعاجم ومؤلفات . بل كانت نهضة جاوزت هذا الجبل الى البلدان العربية الشقيقة .

وليس لنا ان نسمي اولئك الصالحين بقدر ما لنا ان نقتفي اثارهم التي اتصلت بكل بقعة ينطق ابناؤها بلغة الضاد ، والتي جعلت من لبنان معقلا ، ومن اعلامـه موئلا ، ومن معاهده كنوزا ، واذا بيروت منارة للشرق توزع تعاليمها وثقافتها هنا وهناك ، واذا الذين قبسوا ثقافة بيروت الوف منبثون تحت كل سماء .

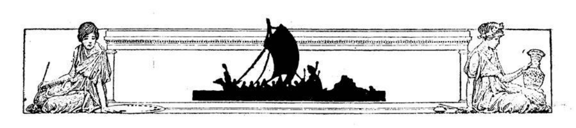
ولقد كان همي الاول اذ عهد اليّ بوزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ان اسعى لانهض بثقافة لبنان ، فتذيع من محطة الشرق احاديث عنها ، ادمغـة واعية وقلوب حساسة متابعة عملا ثقافياً مجيداً بدأه السلف الصالح .

واني لاثني على عميد الاذاعة السيد لاسين لافساحه المجال لهذه التظاهرة الواجبة .

ويأتي الحديث الاول في هذه الليلة ، ثم يعقبه في كل ليلة من ليالي هذا الاسبوع حديث يتفق والمقام . وعليّ ان اوجه كلمات الامتنان والاعجاب الى فخامـة اللبناني الاول الفرد بك نقاش الذي شاء ان تلقى هذه الاحاديث بسمع منه واهتمام وعطف ، ولا عجب فهو حامل لوائي السياسة والثقافة، بحكمة بليغة وادب جم .

وبعد فانني افتتح اسبوع الثقافة اللبنانية ، وان وزارة التربية الوطنية ليبهجها ان تحيي امثاله في سبيل لبنان واللغة العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



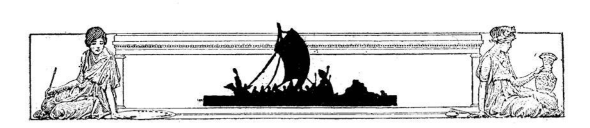
رسالة لبنان الثقافية

بقلم عمر فاخوري

أحب اولاً ان افاجئكم باحدى الحقائق، وابادر الى القول انها ليست من الحقائق الموجعة ولا المخجلة في شيء، بل على الضد كما سترون.. ولعل اكثركم ايضاً لن يفاجأ بها في كثير ولا قليل، فما هو الا انني اوهمت نفسي بنفسي.

تلك الحقيقة ينبغي ان يعرفها — ما في المسألة شك — اللبناني الوسط كما يسمونه في التعابير الجديدة. ونعني باللبناني الوسط امرءاً يقيم في ظهرانينا طبعاً، تربطنا به بضع روابط روحية ومادية، طوعية وقهرية الى حد ما. فهذا المرء — وهنا يظهر فضله — يكلف نفسه، حيناً بعد حين، مؤنة التفكير في امته وبيئته، في الماضي والحاضر والمستقبل، خارجاً من ذاته — الضيقة هي مهما يكن هو عظيماً، ويهمه ان تقوم في ذهنه بضعة آراء عامة تتجاوز دائرة حياته الى حياة المجموع. لكنه — وهذا شرط لا بد منه بأية حال — يفكر تفكيراً سليماً ويقيس الامور بمقياسها الصحيح. ان هذا اللبناني الوسط يكتنه الحقيقة التي وعدتكم اياها.. يدركها بداهة، لاول وهلة، دون عناء، حتى لكأنه، اذ نحن نتمثله، اللبناني الامثل.

ولعمري، أيحتاج لبنان — لبنان كما نعرفه قطعة من جغرافيا وفلذة من تاريخ — الى ان يتسلق ذروة من ذرى الزمن، والى ان يضرب في مسافات الارض والسماء، فيجيل انظاراً ثابتة او حائرة، في ظلمة الماضي او غيب المستقبل، في الآفاق القريبة او البعيدة.. ترى، أيحتاج لبنان الى ذلك النصب الشديد، المقعد المقيم، كي ينتهي به الامر الى ان يقول في سره وعلى رؤس الاشهاد: «انا صغير، جد صغير.. صغير جغرافياً وصغير تاريخياً؟» لقد رأيتم الآن ان لبنان لم يكن، كي يقولها، بحاجة حتى الى المقدمة الملطفة المغربة التي مهدنا بها لهذا الحديث. وسترون عما قليل ان تلك الكلمة ليست مما يقال قولاً، بل هي مما يهتف به هتافاً. فلبنان منذ كان، لم يقف على ساحل هذا الابيض المتوسط، بأزاء مدنياته القديمة والحديثة، كما يقف الصياد الذي دهمته العتمة ولم يعطه البحر سمكة واحدة.. لا، ولكنها قصة شعب من الشعوب، ما كان صغر جغرافيته وتاريخه ليعوقه او يكفه او يمنعه عن ان يعطي العالم، في عصر من عصور تمدينه، اداة التخاطب المثلى، واساليب العبادة الفضلى، وطرائق للفكر والعمل قويمة.. بل نذهب الى ابعد من هذا فنقول: لعل صغره في رقعة الارض وفي زحمة التاريخ، كان حافزاً ذلك الشعب، دافعاً اياه بعزم لا يغلب، الى



الاخذ بضرب من ضروب العظمة او السمو او التوسع ، يكفي به طموح ذاته ويسد عوزها .

وهكذا رأينا لبنان يتبسط سفناً ومدناً، ويتسامى آلهة وهياكل ، ويتوسع بالحرف والفكر . ومن غاباته المقدسة كان يشيد معابده الذاهبة صعداً ، ويبني مراكبه الذاهبة بعيداً ، كأن له من ضيق ساحته ، وصغر حجمه ، عند المسافة ثأراً ، فلن يقر له قرار حتى يدرك ثأره مقرباً الابعاد ، جامعاً الاضداد ، واصلاً قطيعة المادة والروح، على السواء .

ليست الثقافة في بلد من البلدان ، او رسالتها في شعب من الشعوب ، مما يرتجل ارتجالاً ، ولا مما يُسنّ في ضجة المجالس والمجامع ، ولا مما تحدس به مخيلة شاعر او ينضح به ذهن حكيم ، ثم يفرض على الوجود فرضاً . فالحياة نفسها (والتاريخ الذي يحكي حكايتها) ليست سوى حوار لا ينتهي بين الانسان والطبيعة . ويندر ان تكون الكلمة الاخيرة في ذلك الحوار لهذا الكائن من لحم ودم .. حوار لطيف تارة ، وتارة عنيف ، مضطرد او منعكس ، في صراحة او جمجمة .. كزقزقة العصفور وسقسقة الجدول ، كاصطفاق الموج وتقصف الرعد .. يهمس همس النسيم او يدوّي دويّ البركان .

لبنان ملقى السبل المتفرقة ، ومعترك الامم المتنافسة ، ومزدحم الثقافات المتقاطعة .. ما من قوة في الارض تستطيع ان تغلق ساحله الغربي ، هذا الباب المفتوح على مصراعيه للابيض المتوسط ، من مدنيات وشعوب ، يعطيها ويأخذ عنها ، ثم تقذف به تلك القوة واحة غريقة في الصحراء . كذلك ما من قوة في الارض تستطيع ان تسلخه عن هذا الشرق السامي الذي وصلته به ، منذ كان التاريخ بل قبل ان يكون ، وشائج دم ولغة ، وتقاليد واساطير ، وعبادات وثقافات ، ثم تقذف به تلك القوة جزيرة عائمة في الاوقيانوس . سيظل لبنان حيث هو وحيث كان ، من الطبيعة ومن التاريخ ، صلة وصل بين الشرق والغرب اللذين يلتقيان فيه . واذا صح ان ثمة مستقبلاً قريباً او بعيداً لن يعرف الاثرة القومية وما يلازمها من مظاهر الطمع والفتح والغلبة ، ولا التحريم الفكري وما ينشأ عنه من تعصب على اختلاف انواعه ، فقد كانت اذن ثقافة لبنان هي المثلى ، ورسالته في الدنيا هي الفضلى : ثقافة تمازج ، ورسالة تواصل .

ولعل اكرم ما يصدره لبنان من بضاعة ، ابناؤه في النواحي الاربع من الارض ، بناة المدن والسفن ، المخاطرون غير مغامرين ، المثقفون طبعاً وتطبعاً ، المحافظون في غير ترمت ، المجددون دون تعسف ، مخترعو الابجدية قديماً وحضنة العربية حديثاً ، ابناؤه السمر الميامين ، حملة رسالته الثقافية في العالم ..

عمر فاخوري





المطابع والجمعيات الادبية في لبنان

بقلم كرم البستاني

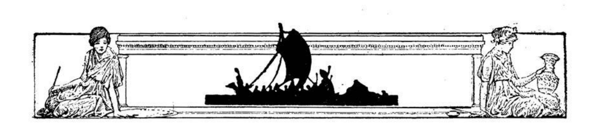
يتناول الموضوع الذي اقترحه علي معالي وزير المعارف والتربية الوطنية الاستاذ رامز سركيس للاسبوع الثقافي ، امرين : المطابع والجمعيات الادبية في لبنان . وكلا هذين الامرين وان اختلفا من ناحية البحث يلتقيان في ان كلا منهما ركن من الاركان التي قامت عليها الثقافة اللبنانية .

برق فجر النهضة الادبية في لبنان في منتصف القرن التاسع عشر بعد ان تأسست المدارس الراقية ، وانتشر فن الطباعة ، وانشئت صحف كثيرة كانت همتها في خدمة العلم والادب اكثر منها في خدمة السياسة . ولا نكير ان الاثر الاعظم في تنشئة هذه النهضة التي نجني اليوم ثمارها يعود الى المطابع ، فلولاها لما انتشرت الكتب والصحف بين ايدي الناس ، ولما تمكنت المدارس من تعليم جماهير الطلاب ، فانبثقت في اللبنانيين تلك الشعلة الثقافية التي كانت عناصرها كامنة في نفوسهم بما فيهم من الاستعداد الفطري لتلقي العلوم والاداب . فللمطابع اذن فضل المتقدم في اثارة النهضة العلمية والادبية في لبنان ، وفي تهيئة النفوس لها وحفزها الى السير بها في معارج الرقيّ والازدهار . وعلى ان الطباعة لم تنتشر في هذه البلاد انتشاراً واسعاً الا في القرن العشرين ، لا سيا بعد الحرب الكبرى ، فقد كانت قديمة في لبنان ، وربما كان هذا البلد الصغير بحجمه اول بلد عربي في الشرق فكر بانشاء المطابع وجنى ثمراتها . واول مطبعة ظهرت فيه كانت مطبعة دير قزحيا انشأها الرهبان الموارنة في سنة ١٦١٠ ولكن اكثر ما طبعته كان كتباً سريانية ، او كرشونية (اي عربية في حروف سريانية) . والمطبعة العربية الاولى في لبنان انشئت في سنة ١٧٣٤ في دير مار يوحنا الصايغ للروم الملكيين في الشوير ، ثم انشئت في بيروت سنة ١٨٤٥ مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس ، وكانت مطبوعات كلتيهما مقصورة على الكتب الدينية .

ولم تنهض الطباعة نهضة حقيقية الا بعد انشاء المطبعة الاميركية في سنة ١٨٣٤ ، ثم المطبعة الكاثوليكية في سنة ١٨٤٨ وكانت هذه في اول امرها مطبعة حجرية اضيف اليها بعد زمن ادوات خشبية للكبس والخياطة والتجليد . وقد طبعت فيها امثال لقمان الحكيم وكتاب نخب الملح ، ثم استبدلت بالمطبعة المعدنية المعروفة فأخذت والمطبعة الاميركية تطبعان ، مع الكتب الدينية ، الكتب العلمية والتاريخية والادبية وتنشرانها بين اللبنانيين وغيرهم .

وفي سنة ١٨٥٣ انشأ حنا بك الاسعد مطبعة حجرية جعل مركزها قصر بيت الدين وطبع فيها كتاب شرح المعلقات السبع للزوزني . وانشأ خليل الخوري في سنة ١٨٥٨ المطبعة السورية في بيروت وكان يطبع فيها جريدته حديقة الاخبار ، اول جريدة عربية في هذه البلاد ، وطبع كذلك بعض نبذ من ديوانه الشعري . وتوالت بعد ذلك المطابع فانشأ داود باشا اول متصرف على لبنان في سنة ١٨٦٣ مطبعة في دير القمر ادارها يوسف الشلفون وحنا بك ابو صعب كانت تطبع اوراق الدوائر الحكومية ، وجريدة لبنان الرسمية في اللغتين العربية والفرنسية . وانشأ حنا الغرزوزي في سنة ١٨٨٦ المطبعة الشرقية في بيروت فطبع فيها بعض دواوين شعرية وكتباً ادبية وتاريخية . ثم انشأ المعلم بطرس البستاني وصهره خليل سركيس مطبعة المعارف في سنة ١٨٦٩ فطبعت فيها مجلة الجنان وجريدتا الجنة والجنينة ، ودائرة المعارف ومحيط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المحيط وقطر المحيط واخبار الاعيان في جبل لبنان وغيرها من الكتب العربية القديمة والحديثة . وانشأ بعدها احد صاحبيها خليل سركيس في سنة ١٨٧٥ المطبعة الادبية فطبع فيها كثيراً من الكتب العلمية والتاريخية والادبية وجريدته لسان الحال . وقد اسست في بيروت مسابك للحروف العربية زودت المطابع والصحف العربية في لبنان وسورية ومصر والهند والاميركتين بحروفها، وهي مسبك المطبعة الكاثوليكية ومسبك المطبعة الاميركية ومسبك المطبعة الادبية لخليل سركيس .

وهنا اضرب صفحاً عن عشرات المطابع التي تأسست في بيروت وسائر الانحاء اللبنانية خشاة التطويل .

وهذه النهضة الطباعية وما اخرجته من كتب مختلفة المباحث حفزت الادباء اللبنانيين الى التأليف فكان ذلك عاملا من عوامل النهضة على ما فيه من تقليد المتقدمين بسبب الضغط على الحرية الفكرية في تلك الايام، حتى اضطر بعض مشاهير حملة الاقلام الى النزوح عن لبنان، الى مصر وغيرها من البلدان الاوربيـة والاميركية، ليعملوا تحت رايات الحرية .

ورواج الكتب وانتشار التعليم حملا ادباء لبنان على عقد اجتماعات يتباحثون فيها بعلوم اللغة والادب ويتطارحون الاشعار، ويلقون الخطب والمحاضرات العلمية والفنية والادبية . ثم ما عتمت هذه المجالس الخاصة التي كانت تعقد في البيوت او غيرها من اماكن الاجتماع ان تحولت الى مجالس عامة تجتمع فيها كتل تؤلف كل منها جمعية لها شعار ونظام وهدف . وقد افادت هذه الجمعيات على قصر عمر اكثرها الروح الثقافية، والنزعة الوطنية، فائدة جلّى بما كانت تلقيه في اجتماعاتها من خطب وشعر، وما تقوم به من تمثيل روايات تعلم الفضائل ومكارم الاخلاق وحب الوطن .

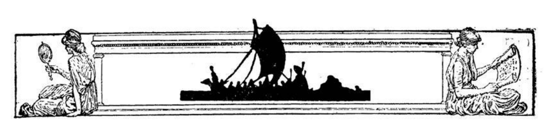
وهذه الجمعيات كثيرة يطول الكلام عليها، اذكر منها ما تركت اثراً في حقل الادب، واولها الجمعية السورية انشأها المرسلون الاميركيون بالتعاون مع نوابغ ابناء لبنان في سنة ١٨٤٧ وترأسها عالي سمث رئيس الرسالة الاميركية وكان من اعضائها: المعلم بطرس البستاني، والشيخ ناصيف اليازجي، والدكتور فانديك، وسليم ده نوفـل مستشار البلاط القيصري في بطرسبرج، وكانت رسالتها نشر العلوم وتعزيز الفنون والاداب . وانشئت لها مجلة باسمها لتقوم بهذه الرسالة ومكتبة احتوت ٥١٦ مخطوطاً عربياً و ١١ مخطوطاً تركياً، وكتباً كثيرة في شتى المواضيع واللغات .

وكانت تلقى في مجالسها محاضرات علمية وادبية طبع بعضها، بينها محاضرة للمعلم بطرس البستاني في ضرورة تعليم المرأة وترقيتها، ومحاضرة اخرى له في الادب العربي القديم وتقليد المعاصرين له . ولبثت هذه الجمعية زهاء خمس سنوات انقطعت بعدها عن العمل .

والجمعية الثانية هي الجمعية المشرقية انشأهـا ادباء الكاثوليك بسعي الآباء اليسوعيين، وعقدت جلستها الاولى في سنة ١٨٥٠ وكان من اعضائها ابراهيم النجار طبيب الجند السلطاني، ومارون النقاش اول من ادخل فن التمثيل الى اللغة العربية، والشيخ حبيب اليازجي . واسست لها مكتبة اؤتمن عليها درويش التيان، غير انها ما لبثت ان انقطعت عن عملها بعـد اعوام وتسلّم الاباء اليسوعيون مكتبتها حفظاً لها من الضياع، ثم انتقلت هذه المكتبة الى جمعية القديس منصور دي بول .

وانشئت بعدئذ في بيروت جمعية العلوم في سنة ١٨٦٧ وكان رئيسها الامير محمد ارسلان ومن اعضائها: كامل باشا الصدر الاعظم وحبيب باشا المطران والحاج حسين بيهم والكونت نصر الله دي طرازي والمركيز موسى دي فريج والشيخ ابراهيم اليازجي الذي انشد في احد مجالسها بائيته الشهيرة: « تنبهوا واستفيقوا ايها العرب . »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



والّف ادباء المسلمين في بيروت جمعية الفنون في سنة ١٨٧٤ وترأسها الحاج سعد حمادة ابن السيد عبد الفتاح حمادة حاكم بيروت في عهد ابراهيم باشا المصري . غير ان رئيسها توفي في العام التالي لانشائها فانحلّت وبقي من آثارها جريدتها ثمرات الفنون وهي اول جريدة عربية انشأتها شركة مساهمة، فتبناها الشيخ عبد القادر القباني، وقد عمرت طويلاً وكانت كذلك اول جريدة عربية اتيح لها ان تحتفل بيوبيلها الفضي .

وفي سنة ١٨٨٠ اسس مدحت باشا والي سوريا في بيروت جمعية المقاصد الخيرية التي توقفت زمناً عن العمل لاسباب سياسية، ثم عادت ولا تزال مزدهرة يرأسها عمر بك الداعوق . وكان من اعمالها بناء جامع الاشرفية، وفتح مدارس للصبيان والبنات في بيروت وانحاء لبنان، فبثت نهضة علمية ادبية في الناشئة المسلمة .

وفي سنة ١٨٨١ اسس في بيروت المجمع العلمي الشرقي ترأسه الدكتور فانديك وكان من اعضائه الدكتوران فارس نمر ويعقوب صروف، والمستشرقان الدكتوران بوست وورتبات، والشيخ ابراهيم الحوراني، وقد نشر هذا المجمع كثيراً من اثاره العلمية والادبية في مجموعة مطبوعة .

وانشئت في بيروت على اثر تأسيس مدرسة الحكمة في سنة ١٨٧٥ الدائرة العلمية المارونية، قام بها من اساتذة المعهد: الخوري يوسف البستاني والخوري بولس عواد وهو اليوم المطران عواد، والشيخ عبدالله البستاني والاستاذ شاكر عون والدكتور سليم الجلخ وغيرهم، فكان عملها القاء المحاضرات في العلم والادب وتمثيل الروايات الادبية في المعهد نفسه وقد تركت مجموعة خطب طبعت في بيروت .

وانشئت في سنة ١٨٨١ جمعية زهرة الاداب برئاسة اديب اسحق وكان من اعضائها: الشيخ اسكندر العازار وسليم النجار وداود نحول وسليم شكري وجرجي ديمتري سرسق . واتخذت لها جريدة التقدم لتخدم مبادئها وتنشر ما يلقى في مجالسها، وكان صاحب الجريدة يوسف الشلفون .

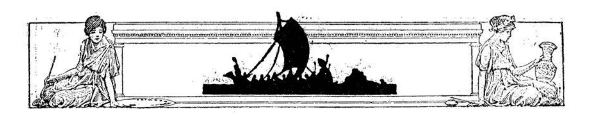
وبعد تفكك عرى هذه الجمعية منع السلطان تأليف الجمعيات في بلادنا مهما كان نوعها لانها كانت تخشى النهضة الادبية العربية في هذه الربوع، غير ان هذا المنع لم يفت في عضد الادباء. فلبثوا يقيمون مجالس ادبية خاصة، وهكذا حفظوا للبنان مركز الزعامة الادبية في ذاك العهد المظلم الذي اشفى فيه الادب العربي على الاضمحلال .

اما بعد الحرب الماضية فقد تألفت جمعيات ادبية كثيرة في المعاهد العلمية وخارجها قام ببعضها نفر من الاطباء والمحامين والاساتذة والادباء. وقام بالبعض الآخر كتل من الشبان المثقفين وهدفها كلها خدمة الادب وتعزيزه وقد اضمحل قسم منها والاخر لا يزال حياً يرزق، اذكر منها المجمع العلمي اللبناني لانه اكحكومي اسسته حكومة لبنان في سنة ١٩٢٨ تلبية لالحاح الصحافة، وانتخب له الشيخ عبدالله البستاني رئيساً ثم بعد وفاته ترأسه وديع عقل صاحب الراصد وكان من اعضائه البطريرك افرام الرحماني والشيخ احمد عمر المحمصاني والشيخ عبد الرحمن سلام، لكن لم يتسن له ان يعمل شيئاً لان عمره لم يطل فقد الغى المجلس النيابي اعتماداته بعد ثلاث سنوات من تأسيسه فكان ذلك آخر العهد به .

هذه لمحة مقتضبة عن مطابع لبنان التي ظهرت في فجر الانبعاث ولم يبق حياً منها اليوم الا المطبعة الاميركية والمطبعة الكاثوليكية والمطبعة الادبية، وعن جمعياته ومجامعه الادبية التي اذا استثنينا منها المقاصد الخيرية لا نلقى من بقاياها الا الذكر الطيب وبعض آثار مهملة في زوايا الادراج والمكاتب .

وانه ليحق لكل لبناني ان يفتخر بان يكون وطنه على صغر مساحته وقلة عدد سكانه كبيراً بما اداه الى الثقافة واللغة العربية من خدم خالدة يوم لم يتسن لقطر سواه من الاقطار الناطقة بالضاد ان يقوم بمثل النهضة التي قام بها .

كرم البستاني



اللغة العربية ونصيب لبنان منها

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى الغلاييني
قاضي بيروت

اللغة العربية هي كبرى اللغات السامية ، واغزرها مادة ، واوسعها بياناً ، واقدرها على الاعراب عن خلجات النفوس ، واقواها على الحياة . وهي ، كما قيل ، غول اللغات ، ما دخلت قطراً الا قضت بقوة اسرها على لغته ، حتى تجعلها اثراً بعد عين . وقد نشأت وترعرعت في رحاب الجزيرة العربية ، مهد العرب ، ومهد اخوانهم الساميين ، من سريانيين وعبرانيين وكلدانيين وفينيقيين وغيرهم ، ممن نزحوا عن هذه الجزيرة ، في ازمنة متطاولة ، موجات يتبع بعضها بعضاً ، لاسباب معاشية او سياسية ، كما نزح العرب ، قبل الاسلام وبعده من جزيرتهم الى ما جاورها من العراق والشام ولبنان ومصر وغيرها من البلاد المعروفة بديار العرب . فالجزيرة مهد الساميين الاول ، ومنها كانت هجرة من هاجر منهم . وهذا هو الرأي المعول عليه عند المحققين من العلماء الذين يعنون بمثل هذه الشؤون . وعلى رأي هؤلاء العلماء تكون اللغة العربية هي ام اللغات السامية ، وان فيها من المزايا والخصائص ما ليس في بناتها ، على رأي من يقول بأميتها ، او ما ليس في اخواتها على رأي من يقول ان العربية وغيرها من اللغات السامية بنات لام اندثرت ، هي اللغة السامية . ولسنا هنا في مقام ترجيح احد الرأيين على الاخر . على انه لا ينكر احد من هؤلاء واولئك ان العربية ترعرعت في جزيرة العرب ، ثم تسربت قبل الاسلام الى ديار العراق والشام ولبنان ، بتروح من نزح الى هذه الديار من المناذرة والغساسنة وغيرهم .

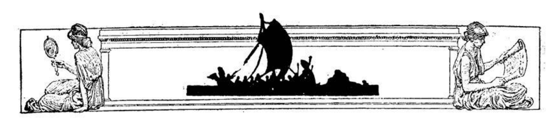
ومن انعم النظر في هذه اللغة ، كما نقلت الينا ، يجد انها لغة فيها كل مقومات الحياة ، من الفاظ تدل على الاخلاق والاجتماع والعمران والسياسة والادب ، ويحكم ان هذه اللغة التي حفظها لنا العصر الجاهلي ليست لغة قوم بداة اتسعت بينهم وبين المدنية المسافة ، بل كانت لغة قوم ضربوا قبل جاهليتهم باوفر قسط من التمدن ، لان اللغة لا تكونها الا الحاجة ، واللغة مجموع عادات . والامة التي لا تحتاج الى انواع من الملابس تقل فيها اسماء الملابس ، والامة التي لم تعن بالعمران لا يكون في لغتها ما يدل على ذلك ، والامة التي تفقد الاجتماع تعرى لغتها من الفاظ تعبر بها عن المعاني التي يقتضيها الاجتماع ، وهكذا قل عن كل حاجة من الحاجات التي تستدعي كلمات للتعبير عنها .

فاللغة العربية قد اترع حوضها ، وزخر عبابها بكثير من الالفاظ لكثير من ضروب التمدن . ففيها كثير مما يدل على الاجتماع والكتب والعلم والاقتصاد والاخلاق والسياسة والسفن والطرق والبقاع والتجارة والاسفار والكواكب والانواء والرياح على اختلاف مهابها ، والصناعة وادواتها ، والاطعمة واوانيها ، واللباس والرياش . وفيها كثير من الكلمات الدالة على الاخلاق والعواطف وخلجات النفوس وتشريح الاجسام واعضائها ، والادوية والادواء وغير ذلك ، مما لو اردنا التوسع فيه بايراد الامثلة والشواهد ، لملأنا به بطون الاسفار .

لا ريب ان كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على ان للعرب ، قبل جاهليتهم التي سبقت الاسلام ، مدنية زاهية زاهرة في اليمن والعراق والشام ، وفي قلب الجزيرة ايضاً ، اخنى عليها الذي اخنى على لُبَد ، والايام دول « وتلك الايام نداولها بين الناس » . وقد كشف البحث عن بعض ذلك ، وسيكشف المستقبل عن غيره مما احتوته بطون الارض من تلك المدنيات العربية المندرسة . فاللغة العربية التي وصلت الينا كانت لغة قوم ، ان لم نقل انهم كانوا اول من تمدن وتحضر ، فهم في الرعيل الاول ممن بنوا الحضارات الاولى . وكانت لغتهم تتبع حضاراتهم في النمو والازدهار ، تبعاً لحاجة التعبير عما تضطرهم الحاجة للتعبير عنه . ثم طرأ عليهم ما خرب مدنيتهم وهدم عمرانهم ، الا قليلاً من ذلك في اليمن وبعض انحاء العراق والشام . غير ان اللغة ظلت نامية مزدهرة ببقاء ادبهم من شعر ونثر وخطب وحكم ووصايا وغير ذلك مما اثر عنهم من ضروب الاداب .

ولا ريب ان العربية لم تكن لهجة واحدة . كما نعرف ذلك في اللغة القرشية الفصحى التي يمثلها الادب الجاهلي في عصره الاخير ، والقرآن الكريم وما اثر من كلام الرسول والخلفاء ومن جاء بعدهم في عصور الاسلام الاولى . بل كانت لهجات يجمعها اسم العربية واساليبها ، كما هي الحال اليوم في لهجات العربية العامية المنتشرة في الشام ولبنان ومصر والحجاز والعراق واليمن وغيرها من ديار العرب .

وقد فطن العرب قبل الاسلام الى وجوب توحيد اللهجات على قدر المستطاع ، فكانت اسواق الاداب ، كعكاظ وذي المجاز ومجنة . فان هذه الاسواق كانت اشبه بالمؤتمرات اللغوية والادبية ، وكان ادباؤهم يتناشدون فيها الاشعار امام قضاة الادب ويترغون بالخطب ، فتقاربت بسبب ذلك لهجات القبائل ، ودخل في لغة كل قبيلة شيء من لهجات القبائل الاخرى والفاظها ، فاتحدت اللغة الادبية او كادت . وكانت لغة قريش — بسبب اقامة هذه الاسواق في ربوعها — هي المهيمنة على غيرها من لغات العرب ، وفارس الحلبة في هذا الميدان ، وصاحبة الغلب على غيرها من اللهجات ، كما ضمت اليها مختار لغات



القبائل ولهجاتها حتى صارت وحدها لغة الادب قبيل الاسلام ، وبها نزل القرآن الكريم . ولولا عكاظ وغيرها لم يكن توحيد اللغة امراً ميسوراً .

فلما نزل الكتاب الكريم بلغة قريش واسلوبها ، تلك اللغة التي هيمنت على جميع اللهجات وتغلبت عليها ، تعززت العربية القرشية ، وكان لها من الشأن بعد ذلك في الدين والعلم والادب والاجتماع ، ما هو مبسوط في تاريخ الاداب العربية وفي غيره من تاريخ العرب الديني والعلمي والسياسي .

وقد شغل ادباء العرب في صدر الاسلام ، الا قليلاً منهم ، بالقرآن وتفهمه وما يحويه من عقائد واخلاق وعبادات ومواعظ وعبر تضمنها ما قص فيه من اخبار الانبياء واتباعهم ، واخبار الامم الغابرة التي لم تلتفت الى دين منزل ، او نبي مرسل ، فلما كان العصر الاموي نهضت اللغة نهضة جديدة في الشعر والخطب والرسائل ، وقد أثر فيهم ما رأوه من حضارات الامم التي دانت بلادها لهذه الدولة . ولما كان العصر العباسي كانت ألوية الامة العربية خفاقة في كثير من الممالك ، والعرب ومن تعرب او دان للعرب ، مبثوثون في مشارق الارض ومغاربها ، واللغة تشاركهم في الانتشار والنمو فاتسعت دائرتها بما دون فيها من العلوم ، وبما احتوته من الاصطلاحات العلمية والفنية ، وزهت آدابها وكثر المتكلمون بها والمكبون على تعلمها .

غير انه ما كاد ينتصف عليها القرن الرابع الهجري ، حتى اخذ بدرها بالافول ، وغصنها بالذبول ، لتغلب الاعاجم على الديار العربية . فلولا القرآن الكريم، وما دون بالعربيةمن العلوم والفنون والاداب ، لانمحى رسمها ، وخفي اسمها،غير انه لم يخل لبنان وغيره من البلاد العربية والبلاد التي كانت تحت كنف العرب ، في اثناء هذا الدور ، دور الانحطاط ، من علماء ، وادباء ، كانوا نجوماً يهتدى بهم في هذه الحقبة الطويلة الداجية الزاخرة بالظلمات .

فلما كان العصر الحديث الذي بدأ باستيلاء محمد علي باشا ، رأس الاسرة العلوية ، على مصر ، عام عشرين ومئتين والف للهجرة ، الموافق سنة خمس وثمانمائة والف للميلاد، كانت اللغة وعلومها وادابها قد خمدت نارها الا قليلاً مما حافظ عليه الجامع الازهر في مصر، وجامع الزيتونة في تونس وغيرهما من مساجد الاقطار الشامية واللبنانية والمصرية والعراقية واليمنية والحجازية والافريقية والبيع المنتشرة في الربوع اللبنانية ، فبدأت حينئذ النهضة العربية تتحرك في مضاجعها ، ونهضت معها اللغة العربية ، بعد ان سقطت في تلك الهوى السحيقة المهاوي، حتى اشفت على الدثور، واشرفت على الهلاك، واخذت تنهض من كبوتها وتستفيق من غفوتها ، واقبل على درسها والتأدب بآدابها كثير من الطلاب الذين كانوا بعد ذلك ، اعلام العلم والادب .

ولا ريب انه كان لنهضة محمد علي باشا اكبر الاثر في نهضة اللغة العربية بما ارسله من البعوث الى الديار الغربية لتلقي العلوم المادية في جامعاتها، وبما ترجم رجال هذه البعوث من صنوف العلوم والفنون بالعربية . كما انه لا نكران انه كان لحملة نابوليون بونابرت على الديار المصرية والشامية واللبنانية قبل استيلاء محمد علي باشا على الديار المصرية ببضع سنين اثر محمود في هذه النهضة ، مما لا يسع المقام تفصيله في مثل هذا الموقف الضيق المجال .

عجيبة ، ورب الكعبة ، من العجائب ان تنهض اللغة العربية هذه النهضة ، وتثب وثبتها التي كادت تكون طفرة، بعد ان كانت حتى اوائل القرن الثالث عشر الهجري ، الموافق اوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، في زوايا الاهمال ، وبعد ان كان العرب ، في جميع اقطارهم قد استولى عليهم الخمول والضعف القومي بفساد حكامهم، حتى فسدت اذواقهم الادبية ، وانحلت روابطهم القومية، وصارت لغة الكتاب الكريم مهجورة اعظم الهجران .

لا غرابة فيما حدثنا به التاريخ والروايات التي بلغت التواتر ، عما بلغته اللغة العربية من الازدهار وسعة الاداب في عصورها الزاهرة ، لان للعربية في تلك العهود دولها التي نهضت بها وعززت علماءها ، وكرمت ادباءها وانطقت شعراءها واللغة لا يقوم بها الا دولتها ، وانما الغرابة ان تنهض اللغة العربية من كبوتها ، بعد ان ملك الاعاجم رقاب ابنائها زماناً طويلاً،وقضوا على مدنية العرب وما خلفوه من آثار في العلم والادب وغيرهما من مقومات العمران .

وقد كانت البلاد اللبنانية اسبق البلاد العربية الى هذه النهضة ، او من اسبقها اليها ، بعد ان كانت القراءة والكتابة وشدو شيء من علوم العربية محصوراً تقريباً في المساجد والبيع ، حتى كان احدهم اذا اراد ان يكتب رسالة الى صديقه او من يعامله في التجارة ، يلجأ الى واحد من بضعة افراد اختصوا بكتابة الرسائل وقراءتها . وان نهضة العربية في هذه الديار اعجب من نهضتها في الديار المصرية ، لان النهضة في مصر قد تولت امرها الدولة الحديثة التي رأسها محمد علي باشا . اما هنا – في لبنان – فقد قام باعباء هذه النهضة العربية ابناء البلاد انفسهم ، وهم تحت كنف الدولة العثمانية .

ليس من غرضنا اليوم ان نتحدث عن نهضة اللغة العربية الحديثة في جميع البلاد العرب ، فذلك امر لا يتسع له المقام . وانما غرضنا ان نتحدث عن هذه النهضة في بلادنا هذه . فانها كانت غريبة من الغرائب ، بعد تلك الامية التي كانت عامة شاملة . فقد كان القرن الثالث عشر الهجري الذي يوافق القرن التاسع الميلادي عصراً نهضت فيه العربية في ديار لبنان ، تتوكأ على افراد من رجالها هزتهم النخوة الوطنية ، واسكرتهم حلاوة الاداب العربية ، فعطفتاهم على امهم ، واللغة ام ، فاحلوها من نفوسهم في المحل الارفع ، وانزلوها من اهتمامهم في المنزل الاسمى ، فما زالوا يدرسونها ويتدارسونها ، ويتعلمونها ويعلمونها ، حتى كثر انصارها ، وعز جانبها ، ونبغ فيها العلماء والكتاب والشعراء ، وكثرت المدارس ، فأمها الطلاب من كل حدب ينسلون حتى صارت بيروت وطرابلس وكثير من مدن الجبل وقراه مباءة لاشتيار العلوم ، ومورداً يعل منه وينهل طلاب العربية وادابها حتى اذا ضاقت هذه الديار بما انجبته من العلماء والادباء ، اضطرت لتصدرهم الى بلاد الله الواسعة ، كمصر وامريكا وغيرهما فنشروا في كل قطر نزلوه لغتهم وادابهم ومعاهدهم وجرائدهم ، فكانوا فيها هداة للمستهدين وانواراً للمستبصرين ، وقد كان كل واحد من هؤلاء معتزاً بقوميته وعربيته ، لا يبغي عنها بديلاً ، فلبلاد الجمهورية اللبنانية فضل على النهضة العربية عظيم ، لا ينكره الا من يجحد ان للشمس نوراً يبهر الابصار .



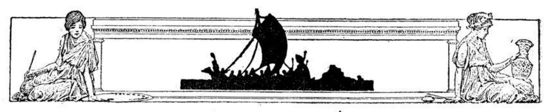
كانت العربية تدرس في هذه البلاد اللبنانية على الاسلوب القديم ، في الكتب المعروفة في ذلك العهد . فلما دعت الحاجة الى درس غيرها من اللغات والعلوم والفنون الحديثة ، نهض علماء اللغة الى تغيير اساليب التعليم ، فالفوا الكتب التي سهلت تعلمها على طلاب المدارس ووضعوا قواعد الصرف والنحو والبيان في الفاظ قربت على الطالبين بلوغها من اقرب الطرق وايسرها . فكانوا اسبق اهل البلاد العربية قاطبة الى وضع علوم اللغـة في كتب سهلة المأخذ دانية القطوف ، وهذه كتبهم شهداء عدلاً على ما نقول . كان العلماء في ذلك العهد يعنون بدرس اللغة وآدابها عناية عظيمة جعلتهم حديث التاريخ الى يومنا هذا ، وكانت لهم مجالس مذاكرات ومناظرات ومطارحات يعرضون فيها ما تنتجه قرائحهم من شعر وادب . وكان لهم شغف خاص بمتن اللغة ليكون عندهم ذخيرة من فصيح مفرداتهـا . ويظهر انهم لم يكونوا يكتفون بمراجعة المعاجم ، لفهم ما يعسر عليهم فهمه من غريب الالفاظ ، بل كانوا يدرسون كتب اللغة درساً كما يدرسون كتب القواعد . فقد سمعت وانا يافع ، الشيخ ابا الحسن قاسماً الكستي وهو يحدثنا عن الشيخ ناصيف اليازجي وعلمه وادبه ويذكر العهد الذي كانوا يتلقون فيه العلم ، يقول : كنا نتلقى متن القاموس للفيروزابادي على شيخنا الشيخ محمد الحوت الكبير ، وكان يحضر مجلسنا هذا في بعض الاوقات الشيخ ناصيف اليازجي ، وقد اثنى الشيخ الكستي على الشيخ اليازجي ووصفه بالذكاء وسعة العلم والغوص على جواهر الاداب .

نبغ في عهد النهضة في البلاد اللبنانية كثير من علماء العربية وادابها ، نذكر منهم الشيخ محمد الحوت الكبير والشيخ عبدالله خالداً الكبير والشيخ اليازجي الكبير والمعلم بطرس البستاني الكبير والمطران جرمانوس فرحات والمطران يوسف الدبس والشيخ ابراهيم خرما والشيخ يوسف الاسير وفانديك الكبير والشيخ ابراهيم الاحدب والشيخ احمد فارس ومفتي بيروت الاسبق الشيخ عبد الباسط الفاخوري كما نبغ كثير من الشعراء والكتاب يضيق المقام عن تعداد اسمائهم . ثم كان بحر اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ رجب جمال الدين والشيخ عبدالله البستاني والشيخ ابراهيم الحوراني والشيخ حسن المدور والشيخ محيي الدين الخياط والشيخ عبد الرحمن سلام والمعلم شاهين عطية والمعلم جبر ضومط والخوري بطرس البستاني والاب جبرائيل اده والاب لويس شيخو والاب لويس المعلوف والشيخ حسين الجر والشيخ احمد عباس وخليل سركيس والمفتي السابق الشيخ مصطفى نجا والاب انطون صالحاني وغيرهم ممن خدموا لغة العرب والاداب العربية خدمة جليلة تذكر فتشكر . وكان منهم من خدمها بالتعليم وحده ، ومنهم من خدمها بالتعليم والتأليف معاً .

وقد انجب كل هؤلاء من التلاميذ وتلاميذ التلاميذ جيشاً من علماء اللغة وادابها وكتابها وشعرائها ، منهم من قضى نحبه ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ، يتبع خطواتهم وينهج منهجهم في تعزيز اللغة والذياد عن حياضها ، افسح الله اجالهم . وقد ركدت سوق العربية وادابها في اثناء الحرب العامة الماضية . ودام هذا الركود بعد الاحتلال فترة من الزمن خلنا هافيها تحتضر لطغيان اللغات الاجنبية وادابها عليها ، ولكن الله رحيم بالعرب وبلغتهم ، فقد تنبهت حكومة الجمهورية اللبنانية من هذه الغفلة بايجادها نظام شهادة البكالوريا ، وفرضها على طالبها ان يعنى بالعربية وادابها عناية عظيمة تمكنه من اجتياز الامتحان ، فاحسنت بذلك صنعاً ، واظن ان ذلك كان في عهد تولي الاستاذ جبران تويني وزارة المعارف . وقد كان لهذا النظام اثر محمود ، فقد انكب الطلاب اللبنانيون على لغتهم واخذوا يدرسون ادابها وتاريخ رجالها في جميع عصور العربية . فاخذت السلسلة بينهم وبين ماضيهم تتصل شيئاً فشيئاً بعد ان كانوا لا يفقهون من تاريخهم وادابهم وتاريخ علمائهم وادبائهم وشعرائهم الا شيئاً لا يسمن ولا يغني من جوع . واذا اردنا ان نقارن بين العهد الحاضر والعهد الذي سبقه قبل الحرب العامة الغابرة ، ونتبين الفرق بين العهدين نجد ان العهد الماضي كان اكثر عناية بمتن اللغة وقواعدها ودراسة نصوصها دراسة لغوية ونحوية وبيانية ، وكان اوفر جهداً لفهم ما خلفه الجدود من آداب شعرية ونثرية ، ونجد ان العهد الحاضر اكثر اعتناء بدرس الاداب العربية دراسة علمية على نحو درس الاوربيين اثار ادبائهم وشعرائهم ، وقد قلت عناية طلابه بقواعد اللغة والتبحر في استخراج ما احتوته من كنوز الالفـاظ التي تعين على توسيع نطاق البيان وتساعد على ترجمة العلوم والاداب الغربية . وهذا نقص يجب تلافيه ، لان اهمال ذلك يدعو الى وقوع العلماء والادباء في اخطاء لا يباح لهم الوقوع فيها ، وقد يوجد بين ابنائنا من ناشئة الادباء من يقول : « اي قيمة للفظ وللاسلوب ؟ انما قيمة الادب بما يشتمل عليه من موضوع جليل ، ومعنى جميل » . فلاولادنا هؤلاء نقول : « هل يقول مثل هذا القول ادباء الامم ؟ ام هم يعنون كل العناية بقواعد لغتهم وتحسين بيانهم ؟ » ونقول له : « هل من بأس في ان تجمعوا بين نفاسة المعاني وحسن الاسلوب والمحافظة على قواعد اللغة والاعتناء باختيار فصح الفاظها ؟ » . وكنت قد اقترحت على بعض وزراء المعارف ان لا يتقدم لشهادة البكالوريا الا من يؤدي امتحاناً قبل ذلك في قواعد اللغة فوعد ، ويظهر انه لم يتمكن من الوفاء بوعده هذا . واني اعيد اليوم هذا الاقتراح على معالي وزير التربية الوطنية الاستاذ رامز سركيس المشهور بغيرته على اللغة العربية شهرة والـده المرحوم في ذلك ، فعسى ان يصادف اقتراحي هذا هوى في نفسه ، فيعمل على تحقيقه ، وان في تهيئته اسبوع الثقافة بمعونة السيد (لامين) اكبر دليل على هذه الغيرة .

هذا ، ولا بد لي ، قبل ان اختم هذه المحاضرة ، من الاشارة الى ان الديار اللبنانية كانت منذ عهد الفتح العربي ، معاهد للعلم العربي ، والادب العربي . فقد نبغ منها في بيروت وحدها في تلك العهود عشرات العلماء والادباء بينهم بعض العلماء الاعلام من الائمة المجتهدين ، كالامام ابي عمرو عبد الرحمن الاوزاعي المدفون في قرية حنتوس في ظاهر بيروت ، ومكحول الشامي البيروتي وغيرهما . وكذلك نبغ في جونية وجبيل وعرقة والجبة وصيداء وصور وجبل عامل وغيرها من بلاد هذه الجمهورية في تلك العصور ، من العلماء والادباء عدد عظيم تكفلت كتب التراجم والتواريخ بذكر اسمائهم وتاريخ حياتهم . ومن راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ سورية للمطران يوسف الدبس ، ووفيات الاعيان لابن خلكان وذيله للصفدي ، ومعجم الادباء لياقوت ، وغيرها

– البقية على الصفحة ٦٣ –



الخيال اللبناني

بقلم مارون عبود

◆

الى فخامة اللبناني الاول الاستاذ نقاش اهدي كلمتي هذه ، تقديراً لثقافته ونزاهته ، واعترافاً بنبل اخلاقه واخلاصه .

واني اشكر معالي وزير التربية الوطنية الاديب الاستاذ سركيس ، واقدر جهوده في حقل الثقافة قبل الوزارة وفيها . واثني على حضرة المثقف المسيو جاك لاسين مدير اذاعة راديو الشرق لانعاشه اشرق معاني لبنان . ليس للبنان اليوم اساطيل ماء وهواء ، ولكن له في دولة الفكر فضلاً يعرفه ذوو الالباب .

وبعد ، فعندما نظم الله قصيدته الفريدة في ستة ايام كان اشد اعجاباً بالبيت السادس لانه نفخ فيه شيئاً من روحه . وبعد ايام – واليوم في عين الله كالف جيل في عيوننا اللوزية – بدا لذي الجلال ان يجور البيت الذي رآه حسناً جداً ، فاستودع فكرته سفينة نوح ، حرصاً عليها ، ومحا بطوفان عرمرم قصيدته العصماء ليعيدها احسن سبكاً . وبعد لحظة من تقويم الخلود استنشق الاب القديم الاجيال قتار ذبائح نوح ومحرقاته ، فطاب نفساً وقر عيناً وقال : لا اعود الى لعنة الارض من اجل الانسان لان تصور قلبه شرير منذ حداثته . وحانت منه التفاتة فرأى جبل اراراط ينظر بغطرسة الى سهول الشرق ، والكبرياء عدوة الله الغيور ، فامر الطبيعة فاخرجت اثقالها فاصطفت جبال لبنان كمعسكر من العماليق في جبهة الوجود ، والمثول والنتوء ملاك الفن الرفيع :

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بازين منها ملكوته

هكذا زعم شوقي ولكن ايهما نسخ عن الاخر يا ترى ؟ هذه مسألة تشغل حيزاً من دماغي ، ولا اقول كبيراً لئلا اتهم بالمبالغة .

وتمرد الخيال اللبناني فحقق ظن الله بالانسان . خلق الالهة وسرحهم قطعاناً تتناطح على روابيه ، وكانت بينهم حروب كالتي نشبت في السماء وكان من شروط هدنتها استعمار الشياطين للارض . الخيال خلعة الله السنية على من خلقه على صورته ومثاله ، وهودج تنسينا زركشة سجوفه هول الطريق والمركب الوعر . اذا جردنا الانسان من خياله انكر ما يحيط به وامسى كالمنبت . لا يذكر الامس ولا يحلم بالغد . والخيال ينمو في بقعة كلبنان ، فولولة رياحه وعربدة شلالاته ، وهمس ينابيعه وانهاره ، وهدير بحره ، ووشوشة اشجاره وقصف رعوده وومض بروقه وعواء سباعه وصرصرة بتراته وصفير نسوره وتغريد طيوره تنصب وفوداً وفودا في حناجر اوديته واشداق كهوفه فتؤلف موسيقى داخلية لا تجدها في غيره .

فمن لا يرتعش متى استيقظ مع الفجر ورأى بقية القرص الفضي تنسكب على ربى لبنان الحالمة فتخلق ظلالا كئيبة واشباحاً حائرة . سيناء الله الازلية تتزين بالف لون وتنطق بالف لسان قبل بزوغ القرص الذهبي وعند غروبه . وما ظنك بجبار نسجت عمامته عوانس كانون وحاك اذار عباءته المنوفة وطرز نيسان قميصه وغنمت طيلسانه عرائس نوار والبحر يغني عند قدميه والضباب يؤزره ليحلم ؟ افلا يلد خياله اساطير كانت ام الثقافة العالمية ؟ فلبنان هو الاولمب الاول ، وقد فاق جوفانس لما جعله الصوفيون مقراً لابدالهم . انه آدم الخيال الانساني وحواؤه ، فمن قممه المتمردة رفع بنوه عرشاً لهركيل ومسرحاً لادونيس وخدراً للزهرة ومن طيوبه صنعوا عشاً لفينيق رمز القيامة والحياة المتجددة .. رموز عبقرية افرغها الخيال اللبناني على الحقيقة فنعم بها الانسان زمناً :

منى ان تكن حقاً فتلك هي المنى والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

للثقافة منبعان : دين حافل بالرموز والاسرار وخيال يحلم بالجمال فيخلقه . وكلاهما انبثقا من لبنان فعما البحار وما وراءها . ابصر اللبناني جبلا قلق المجاز وبحراً مكاراً لا يؤخذ بالعنف فشرع يحتال للنفوذ في ذلك المضيق . تحرك الخيال اللبناني الاول فكانت فتنة بين ابناء الهواء وبنات الماء . صرعت الفأس اللبناني عمالقة الارز وجعلها مراكب فدان البحر . ورأى المستقبل مظلماً فتحرك خياله ايضاً فخلق الابطال والالهة وتحرك ايضاً وايضاً فكان البناء والارجوان والزجاج والطرف والتحف . وتحرك اخيراً خيال الطموح نشى البحارة ابناء الشمس فاستعمروا الشرق والغرب وفتحوا الدنيا سوقاً لحضارتهم وفنهم ودينهم فحق لهم ان يرددوا قول ابن كلثوم ولا ابتهار .

كأنا « والجواري منشآت » ولدنا الناس طراً اجمعينا ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

وابى الخيال اللبناني ان يستريح فانشأ سفر التكوين الاول وعلم افلاطون حقيقة (الوجود الفاهم) وافترض (الجواهر الفردة) لحل عقدة الهيولى ووضع (ابجديته) مستودع الثقافة الحاضرة ولا يزال بعضها كما رتبوه هم منذ خمسة الاف سنة : ABGD ابجد KLMN كلمن QRST قرشت .

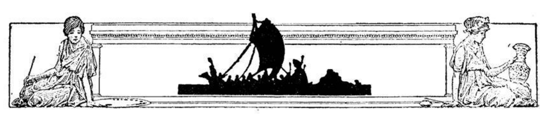
فليست الثقافة اللبنانية وهماً من الاوهام ولكنها حقيقة تقدم كل الكائنات حديثها ولا قبلها قبل كخمرة ابن الفارض . تقدمت موسى وحمورابي والهمت هوميرو وماريني وشكسبير ولا يزال بعضها حياً في اقدس امانينا . فمن هذه المزرعة المنتشرة على سيف بحرنا ومن هـذا المليمتر من مصور الدنيا الضخم خرج خيال جبار كسا العراة برفيرا وارجواناً وبدل الكهوف بالقصور والهياكل الرفيعة العماد . وصار معلم القرون الاولى . فمن يصدق ان شعباً عبقرياً كشف اسرار الكون لا يدرك سر احمرار مياه نهر ابراهيم ؟ ان منطق المعتقدات يجتاح دنيا العقول ويكتسحها . هنيئاً لهم مجدهم الفذ فلا يشوب فخرنا بهم شيء الا انهم لم يعشوا الى ضوء نار الهدى مثلنا فضلوا وتاهوا وانهم يعذبون اليوم في جهنم . اتقولون ان احسانهم الى الانسانية لم يشفع لهم عند ربهم ؟ فلولا ابجديتهم ما قرأنا كتبه المنزلة ، ناهيك ان جهنم عرفت بعدهم ، والقانون لا يشمل ما قبله مدنيا ، ولاهوتياً الجاهل

معذور . واخيرا اقول : ما لنا وللجدل العقيم فلنسلم مشاطرين الاب مرتين اسفه العميق لسوء مصيراللبنانيين الاول ممدني البشرية .

كلما بلغت نهر ابرهيم انخيل نساء بلادي باكيات على تموز . وكلما دخلت جبيل اتخيل الكهنة يندبونه في الشوارع حتى اذا بلغت عين كفاع ومررت
بكنيستها البعلبكية الاساس اقول في نفسي : من هنا طرد زين الالهة ادونيس ، ليحل محله ابن اراراط . وتستدعي الافكار فتنبري كلمة الاخطل :
هو الدين يا اخا العرب ! فاصمت . غريب ايحاء بلادي ، كل حجر من حجارتها سفر جليل . وان قيل : ابهذه الخرافات تفتخر ، اجبت : من منا بلا
خطيئة فليرجمها بحجر . خلقت العين البشرية جمالا قيل له كن فكان . اما العين واليد اللبنانيتان فاستلهمتا خيالا لا يضل كالملك الذي اخترعوه
فابدعتا كونا جديدا حافلا بطرف الفن وروائع الفكر . واراهم خيالهم السامي ان التطور سنة الحياة واقدس نواميسها فداروا مع الزمان محتفظين
بخواصهم الاكتسابية والغريزية فعدوا عن لغتهم الهرمة ، وخطبوا لغة بني عمهم الجميلة . نصروها عزيزة واحبوها مقهورة ، فبينا كانت كتبها تتدهور في
دجلة والفرات وتحمى بها الافران والحمامات كانوا يخبئونها في احشاء كهوفهم – وهل كانت الديورة الا كهوفا – وتتنكر لها حتى بنوها الخلص
فآووها ونصروها ، وافرغوها حلة قشيبة على كتابهم المقدس ، فاحتبت ناعمة البال عن يمين المذبح وأمست لغة خيالهم واحلامهم . تصوروا راهبالبنانيا
– المطران جرمانوس فرحات – يتنقل في اواخر القرن السادس عشر ، بين اعمدة جامع قرطبة ومحرابه يتأمل باعجاب واجلال اثار ذلك الفردوس
المفقود . اما مات ذلك الراهب عشر موتات قبل بلوغ الاندلس ؟ وتحرك الخيال اللبناني ، بعد اربعين قرنا ، فرأينا كاهنا آخر يركب البحر بيناشاعرنا
العربي يقول : لا اركب البحر اخشى علي منه المعاطب طين انا وهو ماء والطين في الماء ذائب

الى رومة ابحر السمعاني حاملا على سفن اجداده حاصلاتنا الثقافية وفي مكتبة الفاتيكان هدأ روع العربية الملهوفة وهناك خلدت ذكر السمعاني كما
خلد السمعاني ذكر العرب بما ترجم للبابا كليمنضوص الحادي عشر . هذا حديث كالبحر . وقد احتاج الى معجم كلاروس اذا عمدت الى ذكرالاعلام
فلنختصر : اللبناني قديما وحديثا مطبوع على الاخذ والعطاء . وفلسفة النفس الحديثة تثبت – (ان للوراثة والعرق تأثيرا في العبقرية فاذاورث الرجل
عن ابويه تخيلا شديدا هيأه هذا الاستعداد للشعر او للتجارة والمالية . وصورة العبقرية تختلف بحسب المحيط) وهذا ما عملته العبقرية اللبنانية . تعلم
اللبناني لغات الغرب وعلم الغرب لغات الشرق فكان تبادل الثقافات وتبادل الصناعات كتبادل البضائع ينعش الاسواق . وهكذا انتعشت اللغة
العربية ووجد المستشرقون . ثابت علميا ان التطعيم خير الوسائل واجداها لترقية الانواع وهذا ما عمله الخيال اللبناني المعاصر في الادب العربي .
طعمه بالثقافات الاخرى فأتم ما بدأ به العباسيون الاول والثقافة كالمتجر تنمو وتزداد بالتبادل والعمل المنتج واللبناني تاجر عبقري وصورة الثقافة
كما قالوا تختلف باختلاف المحيط والزمان . اعترى لغتنا الجميلة شلل كاد يذهب بحياتها وجمالها فتحرك الخيال اللبناني فاذا باليازجي يقف بازاء
الحريري . ثم تحرك الخيال اللبناني وانتفض ذلك العرق في احمد فارس الشدياق فخلق الادب الجديد في الفارياق وكشف المخبأ واخرج لسان العرب
من سراديب الحريري ودهاليز القاضي الفاضل . وتحرك الخيال ايضا فكان الكشف والاشراق على عقل الشدياق النير فابدع سر الليال ثم نفخ في الصحافة
نفخة احيتها وكان من ذريته النبيلة اسحق والحداد وعبده وغيرهم ممن اعجز عن عدهم . وابى الخيال اللبناني ان يستقر فعاد مارون النقاش من اوربا
يحمل الينا المسرح وكان بيته اول مسرح عربي . وهب المعلم البستاني يطعم ويلقح فاخرج من (جنانه) ثمارا جديدة شهية وجاءنا (بالمحيط) الهادي
(والدائرة) التي جمعت منه امة في رجل . ثم ضاقت بالخيال اللبناني ارضه كما ضاقت من قبل فكانت الهجرة الثانية الى الاقطار التي اكتشفها اللبناني
الاول ، فحمل لغته في قلبه ولسانه وهب ينشرها في قارات الدنيا الخمس . للاديان رسل ومبشرون واللبناني رسول لغته لا دينه ، ينقل منها واليها .
وكما نشر اللبناني الاول ابجديته واختراعاته في دنيا الامس فها هوذا لبناني اليوم ينشر لسانه العربي مبشراً برسالته الخالدة . وابى الخيال اللبناني ان يهدأ
فكانت المدرسة الرومنطيكية الرمزية فخلقت القصة والشعر والنثر الجديدين . انه لدم جديد لقحت به مدرسة جبران والريحاني ادبنا العربي الحديث
فوهبته مناعة ووقاية . وابى الخيال اللبناني ان يستقر فكانت مدرسة شعر جديدة ، فيها ازرقاق البحر ، واخضرار الارز ، وابيضاض الثلج واحمرار
الشفق ووحي الغسق والموسيقى البعيدة القرار . وغداً يحدثكم عنها احد اقطابها صديقي صلاح الاسير . ولا يزال الخيال اللبناني عاملا لا يستقرون يستقر .
فالسديم يصير نجما والنجم يمسي كوكبا ثم ينطفئ ليشع غيره . لا يتوارى نظام شمسي حتى يظهر وراءه نظام آخر . ان الارض لا تظلم ما دام الخيال
ساطعاً . وكأني اسمع وارى احدكم ينتفض قائلا : هات لنا مثالا لخيال لا وجود له الا في خيالك . وانا اجيب : على راسي ثم عيني . ان جبران خير
مثال للعرق والبيئة اللبنانيين قديما وحديثاً . فالشوق والضباب الجبرانيان من عمل الخيال اللبناني الاول . فسفر التكوين اللبناني وهو اقدم اسفارنا
عهدا افترض الشوق فاعلا والضباب منفعلا . ان جبران في خلقه وخالقه لبناني اصيل يدين بالروح والحب ولكنهما ماديان كما تخيلها اللبنانيون الاول .
فما المطرة نبي جبران غير مثيرا روح النور الالهي وكأني بالعرق اللبناني قد تجمع كله في هذا الرجل ليجعله مثالا لثقافته وخياله في عهديها ويرى الناس
تطورهما في مسالك العصور . عندما خطر لي هذا الموضوع خفت جماح العاطفة فافترضت عدة ديكارت هنيهة وقلت : ماذا يحدث لو محونا لبنان من
سفر الوجود ؟ فرأيت السهول اقفرت والجنات صارت هشيما والمدن والقرى والدساكر امست خرابا فقلت : حقا ان لبنان خزان الله العظيم . ثم وثب
الخيال وثبة اخرى فافترضت ان نسور هذا الجبل الملهم لم تطر افواجا الى آسيا وافريقيا واوربا واميركا فرايت ظل العربية يتقلص بعد انتشاره وخلت
الدهر يمشي القهقرى فارتمت كمن دهمه الغروب صلاة الظهر . فقلت : اذن والله نحن موجودون وليس ما ازعم تبجحا وتفيشا . فالى التفكير
والتامل ادعو الشباب المثقف والكهول العاملين والشيوخ الذين لم يعدموا طراوة النفس . ان الخلق يقتضيكم تأملا عميقاً ونقاشاً صارماً وانتقادا
مرا وسعيا متصلا . العبقرية هبة واجتهاد وثقافة والاشراق لا يدركه الا المتأملون . قال ريبو : المصادفات السعيدة لا تعرض الا لمستحقيها ففكروا
تستحقوها وتنتجوا ثمارا شهية تضعونها بكل فخر على مائدة ادبنا العربي الخالد . والا فانكم تقطعون الجاه الطويل العريض الذي خلعه الخيال اللبناني
على لساننا العربي المبين . والسلام عليكم .

مارون عبود



الشعر في لبنان

بقلم صلاح الاسير

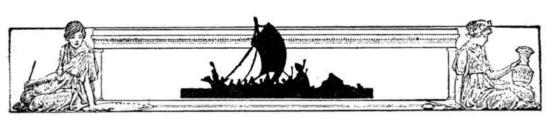
على سيف هذا المتوسط ، في مخطط الدنيا ، يوفل لبنان في بهرة الشروق، وترقص على قممه اطياف القرابين من اجل الجمال، وتحمل الطيوب من اغوار الوديان، رسالة البراعم الى كل قلب، وتامع من النجوم عناوين على الافاق البعيدة. اما الامجاد فتندى على الاسطورة في رأد الابجدية، يوم عبثت يد « قدموس »فخطت الحرف الاول على الرمال السمر، فكانت بكر القصائد التي تحضن بذراعيها تراث الانسانية في مختلف الوانه ورحابه . ان القلم ليهتف الآن في يدي ، وان العين لتغرق في اعماق سحيقة تمور باللألاء والجد وكدح الخاطر وتقليب الضمير، ونحن هنا قبالة هذا المتوسط العربي، نرقب الشمس وتهدي للورى باقة الشعاع، والاعالي تمد الى الله خضرة نقية، والصخور توشوش في آذانها الرياح، تتحدث ابداً عن الابجدية، القصيدة الاولى التي افتضت البحار البكر والخواطر الطفلة والخلجات الساذجة على زوارق حبيبة، والارض يومئذ غريقة الظلمة، ولبنان يتوهج، وانثنا دمية حلوة التلفت ، يهب عليها بخور لبنان في هزج الهدير على الشواطي المشرقية. واليوم نعود الى الحكاية الاولى : أليس الشعر الحديث في لبنان زورقاً من العطور حمل الى الحروف السود في الاوراق الصفراء حنين الوله ، ولطف الخطرة؟ ويغيب الزورق في ابعاد المحاولة : اتراه استراح فوق ماء لا يهدر على صفحته موج، ام هو يكافح الغروب في دروب ملأتها اشلاء امس تائه؟ وهذا الابيض المصفق للشط يذكر الساعة احرف القدموس ومساجلة الرمال وزوارق معاوية ، ويحضن زرقة البحر وسمرة الصحراء ، على مفترق الطرق بين وجهي الارض ، الشرق والغرب، على ود ورفع كلفة . واسبوعنا هذا في اطاره الرسمي، طرفة اعلام اربعة : النقاش، والداعوق ، وسركيس، ولاسين، يد هذا الجبل في كتاب عريق ، ولسانه في مسمع الاجيال ، وجهده من اجل الحق والخير والجمال !

وبديهي اذن ، ونحن في بلد طبيعته شعر ابريز، ظل حائر اللون رحب الامال سخي المغامرة، ان يحدو عبر العصور احلامه وامانيه في جو هذه الحيرة، وان يغني باليونانية امثاله وحكمه، وبالسريانية تفجعه وقلقه ، وبالعربية محاولته الاستقرار غب العاصفة التي زرعها المدائن الباقية على جنبات المعمور . وعندي ان الشعر في لبنان، كان ابداً وسيظل، كامرأة آتية من بعيد، تطير ملقية اصابع قدميها الصغيرتين، على قمم الامواج التي تتلاشى متساءلة على الشاطيء ، وشعرها الطويل الزاهي العميق، وجسدها الارجواني ووجهها المستدير، صورة لفتوة الارض القديمة، بينما عيناها تحسران في حيرة عن تأملات عصور جاثمة فوق جفونها المتعبة !

تكمن المغامرة في الشعر اللبناني: تلك طبيعة البحار يتزل البحر والسماء قاتمة مغموسة في عتمة باهتة على زورق تتقاذفه الامواج، مستدير المؤخرة، مرتفع المقدمة ، على شكل عنق النعامة، وفي المقدمة كوة يحتلها قزم احمر ، ويهدر البحر ويغامر البحار، وعلى الشاطيء تحمد المغبة.

وبديهي ان تؤثر طبيعة البحار ، وهو الشاعر الاول، بالشعر في لبنان ، هذا البلد الذي لم يعرف لغة واحدة . وكثيراً ما رأيت الى هذا الفتح العربي الذي حضن بذراعيه الدنيا وغمر بلغته الامصار، لم يمر لبنان بشاعر كالمتنبي او ابن الرومي او النواسي . ولكن التاريخ يقول بان اللغة العربية كانت وفجر القرن السابع عشر في لبنان على موعد عجيب.

احب ان اطلق على الشعر في لبنان، منْ وصيد القرن الثامن عشر حتى نهايات التاسع عشر ، اسم « مدرسة الكادحين » . فجرمانوس فرحات اول شاعر لبناني باللغة



العربية ، وتلميذه نيقولاوس الصائغ ، وحلقة الاميربشير الكبير الخافقة بنقولا الترك وبطرس كرامة ، وناصيف اليازجي ، والشيخان ابراهيم الاحدب ويوسف الاسير ، وعمر الانسي ، والياس اده ، وغيرهم ممن واكبوا القافلة طوال قرنين، اخلصوا للغة فاودى بهم التقليد ، ولم يصلوا الى ذروة في الشعر الذي نفهم . ولكن فضلهم لا يجحد قط ، فهم طلائع الضو ، وتباشير النعيم ، ومعبدو طريق الملكوت . كانت اغراضهم لا تتعدى الرثاء والمدح والهجاء ، يسبق غرضهم مقطع غزلي او وصفي ، كثيراً ما يحسر عن شاعرية مرهفة عند بعضهم ، لو اتيح لها الانصراف عن الاناء الحكومي او الاميري ، لكانت تضارع النفس العباسي طلاوة وحركة ، ولكنه الوفاء ، وفاء الشاعر لممدوحه ، والتلميذ لاستاذه،والشعر للسلطنة او للولاية او المديرية، خنق عرق الشعر الخالص، وسلب من كنف الشعر العربي آمالا كثيرة .

وفي فجر القرن العشرين زلفت الزوارق من جديد في الطريق الى المستقبل ، فاذا اندلس كاختها تلك، تحمل لغة الضاد الى القارة الطفلة ، بينما كان لبنان ، الجبل الحالم الحائر ، في مخاض متعب . اخرج للناس: عبدالله البستاني ووديع عقل وشبلي الملاط وتامر الملاط وعبدالحميد الرافعي وامين ناصر الدين وغيرهم،واخرج شاعراً انيقاً وديعاً اخلص كل الاخلاص : امين تقي الدين . ولكن بشارة الخوري كاد يكون وحده في تلك الايام ، الرجل الذي لون عينيه بالخيال الحق، وذوب قلبه في الحروف السود، ونذر عمره من اجل الوثبة، فيومئذ دلنا بشارة الخوري على الرسالة، تحملها الضاد التي حضنها لبنان . وفي تلك الايام ايضاً كان ثمة شعر بلغة القرية يدخل الى النفس من كوة البديهة ، ويرقى هذا الشعر في مدارج الاضواء من فلك الى فلك ، ويتربع برشيد نخله على النجوم . وثمة سرب من البلابل الغردة بلغة رامبو وراسين ، يزقزق على غير اغصاننـا حاملاً طيوب الجبل الى كل سماء .

وكانت النقلة : كنا مع قانع لا يطلب، فاذا بنا مع طالب لا يقنع . مدرسة في الشعر جديدة، والمشادة حول تحديد الشعر مشادة العصر، وستظل كذلك، لطغيان صور المادة على النفس البشرية . ذلك ان على الانعتاق وحده يقوم كل عمل فني،وفي جو هذا الانعتاق نزوع الى احتمال الوعي الخالص ونداء الى اشراق افاق القلق .

الشعر في المدرسة الحديثة، مدرسة المحاولة، ظل حالة لا تعيها لغة ، حميمة الصلة باجواء لبنان العربي ، شديدة الاعتداد بحكايته واساطيره، ظل شيء فائق الوصف : حالة تردد وذهول بين خاطرة وخاطرة، بين هاجس وهاجس، حالة الالوان النفسية التي لا تجد سبيلها في بلبلة الحياة بين الضوء والظلمة . فحالة الشاعر في هذين البيتين لم تتجسد على ما فيهما من روعة وموسيقى، ولكنهما كانا ظلاً مخلصاً لتلك الحالة :

اجوب مدى الظن في هاجس شرود واغرق في المبهم
والوي غريب الخطى في التراب وعيناي في ماهب الانجم

الموسيقى هي العاطفة في ردائها الصوتي ، والشاعر هو الذي يصور ظل الحالة مستعيناً بموسيقى الاحرف اولا ، لان الحالة كما ذكرنا هي الانعتاق،وفي هذا الانعتاق زوال لسلطان العقل ، وكل فلذات الانعتاق في عتماتها السحرية لا يقيدها تأثير بشري . فالموسيقى اذن شرط ضروري في الظل، وعليها وحدها يقوم انفلات الشاعر العميق في اندنيوات المحجوبة .

والشاعر قبل كل شيء ، كائن فوق البشر ، يخلق لنفسه عالماً مرصوداً على حدود ترابهم يلونه بدم الفكر وجراح الخيال، ويتركه هكذا قطعة جنية على لازورد جزيرة «الحرمان» . فالشعر سفر تكوين رائع، على كف الرواية الازلية ، ولعلها موضوعه المطلق .

وبعد ، فالشعر في لبنان ، على ضفة ابداع جديد !!

صلاح الاسير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



التعليم والتربية في لبنان

بقلم بولس الخولي

ليس بين الباحثين المنصفين مهما كانت عقيدته في كيان لبنان السياسي وحجمه الجغرافي من ينكر عليه مكانته في خدمة العلم والمعارف منذ أستعمر الفينيقيون القدماء سواحله الى يومنا هذا . ولعل السبب الاظهر في ذلك موقع لبنان الجغرافي وخصائصه الاقليمية وكونه سلسلة جبلية قائمة في قلب الشاطىء الشرقي من البحر الابيض المتوسط ، هذا البحر الذي يجمع ما بين اوروبا وآسيا وافريقيا ، وهذا الشاطىء الذي يشتمل على المرافىء الطبيعية للمراكب التجارية . على هذه المرافىء قامت المدن العريقة في القدم واهمها صور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس، ولعب سكانها الفينيقيون ادواراً هامة في ترقية التجارة والصناعة والملاحة والاستعمار كما تشهد بذلك آثارهم الباقية حتى اليوم . ومن ثم كانت بلادهم هذه مطمحاً لابصار الفاتحين يتطاحنون للاستيلاء عليها فاتحاً اثر فاتح، لا لاهميتها التجارية وحصونها الطبيعية فقط بل لوقوعها في طريقهم، سواء زحفوا من الشمال او الجنوب او من الشرق او الغرب . ومعلوم ان كل بلاد تتسع متاجرها ويعظم عمرانها تزدهر حضارتها ومعارفها ، وتخط لها سطوراً لامعة في صفحات التاريخ .

ايها المستمعون الكرام - ليس لي من الوقت ما يمكنني من تفصيل الخدم التي ادتها هذه البلاد الصغيرة للعلم والثقافة في كل دور من الادوار السياسية التي تقلبت عليها . فاذا اخذنا مدينة واحدة من مدنها - بيروت مثلاً - وقصدنا ان نتكلم عن اثرها في التعليم ونشر المعارف ، ولو عرضاً سريعاً كعرض صور السينما ، لاحتجنا الى اضعاف الوقت المحدد لنا في هذه الاذاعة . يكفي ان اشير الى مدرسة الحقوق الشهيرة في بيروت . ازدهرت هذه المدرسة في العصور الاولى بعد المسيح وظلت زهاء اربعمئة سنة متفوقة بتدريس الحقوق في الدولة البيزنطية الى ان خربتها الزلازل التي خربت بيروت في منتصف القرن السادس للميلاد . ولقد رثى بيروت على اثر ذلك الزلزال الفظيع شاعر يوناني فقال : « ذوت زهرة فينيقية مدينة بيروت . دكت ابنيتها الشامخة فتقوضت جميعها . واذاقت المنية كاسها المرة نخبة الشبان الذين تقاطروا اليها الدرس الحقوق في مدارسها الرومانية الطائرة الصيت ، التي كانت لها فخراً ولمفرقها تاجاً تباهي به اعظم المدن . »

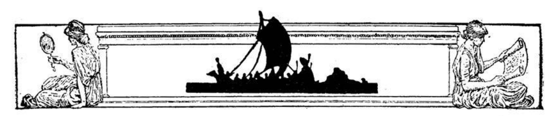
ومن الشواهد على شهرة تلك المدرسة ان الامبراطور يوستنيانوس لما اراد جمع الشرائع والقوانين المتفرقة في القرن السادس لاستخلاص منها مجموعة واحدة منقحة استدعى لذلك اعاظم علماء الفقه في ذلك العصر فكان منهم ثلاثة اساتذة من مدرسة الحقوق في بيروت .

وظهر الاسلام وقامت الدولة الاموية فلم تلبث سواحل الشام ان دخلت في حكم العرب . وكان من تأثير الفتح العربي على لبنان ان اخذت اللغة العربية تنتشر فيه شيئاً فشيئاً ، حالة محل السريانية حتى قضت على آخر ما تبقى منها في أوائل القرن الثامن عشر .

وتلا الفتح العربي الحروب الصليبية ودام تطاحن الدويلات المختلفة في هذه البلاد حتى انقشعت سلطة الصليبيين عنها تماماً في القرن الثالث عشر . ولم يرو لنا مؤرخو تلك العصور شيئاً هاماً عن المعارف في لبنان . فقد وصف بعضهم مدن الساحل وصفاً موجزاً . من ذلك ما رواه ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك ، قال : « وبيروت هذه كان مقام الاوزاعي وهي ذات نخيل وقصب سكر وغلال متوفرة وتجارات البحر عليها دائرة . . حصينة خصيبة ، متينة السور رخيصة الاسعار ، جيدة الاهل مع منعة فيهم من عدوهم ، وصلاح في عامة امورهم . » وذكر بيروت مقروناً باسم الاوزاعي دليل على ما كان لهذا الامام الفاضل من واسع الشهرة وسمو المكانة في جميع الاقطار الاسلامية . وقد مر عهد كان فقه الامام الاوزاعي اشهر مذاهب الفقه حتى عم بلاد الشام ومصر وشمالي افريقيا . وحبذا لو اهتمت وزارة التربية الجليلة باستنساخ النسخة الوحيدة الباقية من فقهه ، وهي في حوزة العالم « الكتاني » المشهور بمدينة فاس .

وجاء عهد ماليك مصر ودامت سلطتهم على هذه البلاد اكثر من مئتي وخمسين سنة حتى قضى عليها السلطان العثماني سليم الاول في اوائل القرن السادس عشر . وجل ما يذكر من تأثير الماليك في لبنان انه قام في عهدهم عدد من المدارس الاسلامية في امهات مدننا واشهرها مدرسة طرابلس . وفي ايام الماليك عقدت المعاهدات التجارية وسمح بادخال القنصليات الى المرافىء اللبنانية . وكانت وظيفة القنصل اذ ذاك ان يشكل محكمة خاصة للنظر في الدعاوى التي تقع بين التجار الاجانب والمسلمين . فكان ذلك بدء الامتيازات الاجنبية التي قويت وترسخت فيا بعد بالدولة العثمانية وظلت مرعية حتى كانت الحرب العالمية الاخيرة . ومن قبيل ذلك ما منح رهبان القديس فرنسيس من المناشير التي خولتهم السكنى في بلاد الشام ففتحوا اديرة لهم في صيدا وبيروت وطرابلس .

ورب سائل يقول : وما علاقة الامتيازات الاجنبية في موضوع البحث ؟ فلمثل هذا اقول : لو لا تلك الامتيازات ما تمكنت المرسليات من دخول هذه البلاد ونشر دعايتها التعليمية والتهذيبية فيها .



اما السؤال: هل كان من مصلحة هذه البلاد ان يفتح عليها باب الامتيازات الاجنبية؟ فأحيل جوابه المشبع على المتخصصين في تاريخ الشرق الادنى السياسي. والواقع ان البعض يقول بشر تلك الامتيازات من الوجهة السياسية. على ان الاكثرية تقر بخيرها من الوجهات الاقتصادية والدينية والسياسية. ومعلوم ان السياسة الرشيدة لا تنفصل عن الاقتصاد والثقافة. ولهذا فانهم يعدون عهد الامير فخر الدين المعني الثاني عهداً سعيداً في لبنان لانه فتح ثغور السواحل اللبنانية لتجارة اوربا وتساهل في دخول المرسليات الدينية ونشر دعايتها بانشاء الاديرة والمدارس بين طوائف الجبل. هذا ولا بد للباحث في تاريخ التعليم في لبنان خصوصاً منذ عهد الامير فخر الدين حتى قيام المتصرفية فيه، من الاشادة بذكر ما كان لمدرسة رومة التي انشأها البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة ١٥٧٤ لابناء الطائفة المارونية. فقد تخرج من تلك المدرسة بضع مئات من الطلبة رجع منهم الى لبنان عدد كبير وخدموا طائفتهم بصفة بطاركة ومطارنة وكهنة مستنيرين بالعلوم الدينية والمدنية، ومنهم من اشتغل في ترجمة الكتب والتأليف. كذلك لا بد من الاشادة بذكر الاباء اليسوعيين وسبقهم بقية المرسليات في انشاء المدارس وادارتها في لبنان فقد انشأوا مدرسة عينطورة في السنة ١٧٣٤.

ومما وسع نطاق المعارف في لبنان مدة القرنين السابع عشر والثامن عشر ما نقله الى العربية اللبنانيون الذين تخرجوا من مدرسة رومة والمرسلون الى بلاد الشام، حتى بلغ عدد الكتب التي عربوها بضعة آلاف وكلها منتقاة من محاسن التآليف. ولاح القرن التاسع عشر فاذا بانوار المعارف قد خبت ولم يبق في لبنان سوى الكتاتيب البسيطة الملحقة بالجوامع او الكنائس وسوى مدرستين عاليتين: مدرسة عين ورقة ومدرسة عين تراز وكلتاهما كانت في حالة العوز والتأخر. اما زهرة فينيقية من قبل، والدرة في تاج مملكة آل عثمان بالامس - اي بيروت - فقد كانت ايامئذ بلدة صغيرة يحيط بها سور له خمسة ابواب وطولها من باب ادريس الى باب الدباغة نحو الف متر، اسواقها ضيقة قذرة وعدد سكانها نحو ثمانية آلاف، والذين يحسنون القراءة منهم يعدون على الاصابع. وكثيراً ما كان السائح او الزائر يرى كاتب المكاتيب جالساً في احدى زوايا السوق ينتظر الزبائن لكي يكتب لهم مكاتيبهم الشخصية، حتى ذهب المرسل الاميركي طمسون الى القول: «ان مثل هذا الكاتب كان صدره يحتوي على كثير من اسرار اهل بيروت.» ولكن حدث في السنة ١٨٢٣ انه قصد الى بيروت بعض الشبان الاميركيين بصفة مبشرين، جاؤا ليوفوا شيئاً من الدين الذي لهذه البلاد على المدنية الغربية التي اقتبست منها قديماً انوار الدين والعلم، وشرعوا في درس العربية على رجالها المعروفين في ذلك العصر، ثم انضم اليهم اخرون، وباشروا فتح المدارس لتعليم الاحداث من الذكور والاناث، واخذوا يعدون العدة لترجمة التوراة والانجيل بلغة عربية صحيحة، يعاونهم على الترجمة المعلم بطرس البستاني، وعلى ضبط اللغة الشيخان ناصيف اليازجي ويوسف الاسير. وفي السنة ١٨٤٦ تولى احدهم واشهرهم في اتقان العربية الدكتور فانديك ادارة مدرسة عبيه لاعداد معلمين للمدارس. وفي السنة ١٨٦٣ انشأ المعلم بطرس البستاني المدرسة الوطنية فكانت نواة الجامعة الاميركية التي فتحت ابوابها في سنة ١٨٦٦ قبلما انتقلت الى ابنيتها الحالية في رأس بيروت. وما كاد يمضي على مجيء المرسلية الاميركية تسع سنوات حتى عقبتها المرسلية اليسوعية. وقامت المناظرة الشديدة بين المرسليتين في انشاء المدارس واصدار الكتب المدرسية والمطبوعات الادبية على اختلافها، حتى الترجمة الاميركية للكتاب المقدس عقبتها ترجمة الاباء اليسوعيين. وعلى الجملة فقد كانت هذه المناظرة باعثاً على اشراق نهضة علمية وادبية جديدة لم تقتصر على لبنان بل تجاوزته الى الاقطار المجاورة له. ولا مراء في انه اذا لم يكن من اثر هذه المناظرة الا قيام الجامعة الاميركية وجامعة القديس يوسف لاستحقت هاتان المرسليتان شكر ابناء هذه البلاد وثناءهم على الخدمة العلمية والتهذيبية التي قامتا بها. واذا نحن نوهنا بعمل هاتين المرسليتين في حقل التعليم في لبنان فلا يصح ان نغفل ذكر بقية المرسليات الغربية التي يعزى لها نشر التعليم الابتدائي في انحاء الجبل فضلا عن المدارس الثانوية التي انشأها الاباء اللعازريون والفرير والمرسليات الانكليزية والبعثة الالمانية الفرنساوية وغيرها. ولقد مر معنا انه كان من حسنات الفتح العربي لهذه البلاد ان اللبنانيين اكتسبوا بهدماً سامياً جديداً ولغة حية غنية اصبحت اداة لتفكيرهم وللتعبير عما في نفوسهم، وكان من ثم ان الذين اتصلوا منهم بتيار الفكر الغربي والذين تخرجوا من كليات بيروت انفسح امامهم مجال التعريب والتأليف والكتابة. وتسنى للمتفوقين منهم بما كتبوا وألفوا ان يعلوا اسم العرب عموماً واسم لبنان خصوصاً وان يساهموا مساهمة مشكورة بحمل لواء الادب العربي الجديد وباداء رسالة لبنان الثقافية في الوطن وفي المهجر. هذا ولو اسعفني الوقت لذكرت المدارس الوطنية وهي كثيرة في لبنان انشئ معظمها بعد السنة ١٨٦٠، ويكفي ان اشير الى بيروت، ففيها وحدها نيف ومئة مدرسة خصوصية فضلا عن تسع مدارس رسمية. ترون ايها المستمعون الكرام ان مدار كلامي كان على التعليم في لبنان من ناحيته التاريخية فقط، والواقع اني لم اتمكن من اشباع الكلام حتى في هذه الناحية نظراً لضيق الوقت واضطراري الى الهرولة في البحث.

بقي ان اقول في الختام، انه اذا صح لنا ان نقول: في لبنان تعليم وتعليم كثير متعدد المصادر والاهداف، فهل يصح ان نقول: ان في لبنان تربية، اي هل نجد في مدارس هذه البلاد الخصوصية وقد بلغ عددها في السنة ١٩٣٤ - ١١٩٦ مدرسة منها ٤١٠ اجنبية نزعة يقصد بها خلق كيان قومي جديد تتلاشى فيه عوامل التفرقة القديمة التي تفشت بيننا؟ عند هذا السؤال اقف تاركاً الجواب لكل من اراد من السامعين والسلام عليكم اجمعين.

بولس الخولي



المرأة اللبنانية

بقلم جرجي نقولا باز

لبنان سيداتي سادتي بلد فريد من اجمل بلاد الناس . شرق بحر الروم، غرب سوريا ، شمال فلسطين. من الناقورة الى النهر الكبير ، ومن البحر الى وادي الحرير ، بين راشيا وراس بعلبك، والقاع. يحوي عشر مدن والفاً وسبعمائة ضيعة . مساحته ثمانية الاف ميل . ابناؤه مليون .

فاللبناني واحد من الفين ومئة انسان في العالم . ولبنان جزء من عشرة الاف وستمئة وخمسة وعشرين جزءاً من الارض .

بلد توالت عليه امم عديدة الوف السنين من ابناء كنعان وآرام الى نسل يعرب وعدنان فضلا عن بني الكلد ، اشور ، مصر ، الفرس ، اليونان ، الروم ، الفرنج ، الترك ، وسواهم .

ولكل من تلك الامم اداب واديان وعلوم وشرائع ازهرت اولا في مواطنها الاصلية ثم في لبنان، ممتزجة بما فيه، وتوزعت منه على الناس في سائر البلاد اثراً لبنانياً .

فتنوعت ثقافاته بتنوع غزاته واهليه واشتهر عهده الفينيقي باحرفه الهجائية ، والرومي بمدرسته الشرعية،والعربي والعثماني بتعزيزه لغة العرب .وسبق ذلك وتخلله ازمان زهت فيه ثقافته بنسبة احوال تلك الايام جهد المستطاع .

اعظم الامم السالفة والحالية جاءت لبناننا بثقافاتها على ممر العصور فاقتبسها الذكاء اللبناني وزاد عليها متصرفا فيها على ما يناسب بيئته . وما شذ عصر في لبنان عن الاخذ باسباب العمران ودواعي العرفان مع مراعاة السياسة حسب الامكان .

وبديهي ان الرجل لا يتفرد وحده بالثقافة دون المراة ولو اغفل التاريخ ذكرها احيانا . وهي الموحية الى اخيها وزوجها وابنها اعظم الاماني واسمى الشعور والدافعة بهم في كل امر الى الامام .

فالمراة اللبنانية اسوة بالرجل اللبناني تناولتها ثقافات لبنان في مختلف الادوار وجميع الازمان اخصها في شؤون الاديان .وما الالاهات والكاهنات الا اثراً ثقافيا . والكثير من اديانها اوجب تعليم الجنسين على السواء .

من ذلك – العلم فرض على كل مؤمن ومؤمنة . و : اذا تزوج موحد فليعلم زوجته واذا كانت متعلمة فليزدها علما .

فضلا عن اشتراك لبنانيتنا بكل اشغال بلدها مباشرة وبالواسطة وهي لم تدع امرا لم تمد له يداً وتشغل فيه فكرا . حتى السياسة والسيادة مجلى الثقافة اصابت فيهما حظا . وتاريخنا اللبناني مزين باثارها اكتفي الان ببعض منها دلالة عليها .

ولكثرة ماثرها عبد اللبنانيون النساء عبادتهم الرجال واتخذوا منهن الاهات اتخاذهم منهم آلهة . وتجاوزت ميثولوجيتهن لبنان الى سواها من البلاد . وكثرت المعبودات اللبنانيات في ميثولوجيات الاقدمين كالمصريين واليونان وامثالهم .

بيروت اسسها جرجساوس ابن كنعان وسميت اولا باسمه، ثم شيدها عليون ملك جبيل باسم زوجته بيروثا وكلاهما الاهان لبنانيان،واتخذت مدة اسم جوليا فايكس من الفي سنة .

افروبي اللبنانية ابنة اغينور ملك صيدا سبب تمدن اوربا من اربعة الاف عام. فاتخذت القارة اسم المراة وعبدتها فيها . كما عبدت ايضا هرمونيا زوجة اخيها قدموس ناشر معارف لبنان في بلاد الغرب . وعمتها ليبيا ابنة بوعشترت زوجة بوصيدون والد اغينور مدنة افريقيا في الجزء الليبي منها .

ايزابيل ابنة اتبعل ملك صيدا زوجة اخاب ملك اسرائيل والدة الملكة عثليا اثرت جدا في ارض الانبياء .

السار ملكة صور اخت بيكماليون شيدت قرطجنة معززة التمدن الافريقي المؤثر في الرومان .

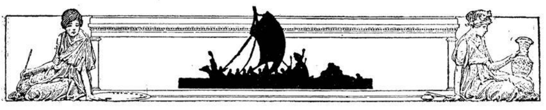
الملكة اللبنانية عمعشترت حكمت باسم نجلها الملك اشمنعزر ولها تاثير في ثقافة لبنان من الوف السنين .

في الزمن الروماني خمس جوليات عززن ثقافة بلدنا مؤثرات ايضا في جميع العالم

جوليا فايكس ابنة الملك اغسطوس قيصر زوجة اغريبا حاكم بيروت . والحمصيتان جوليا دونا امبراطورة سبتموس سفيروس واختها جوليا ميزا وكريمتاها الجوليتان سومياس والدة الامبراطور اليوكبل وما التي ولدت ابنها اسكندر سفير في عرقا من بلاد عكار واحاطت عرشه في روما بمثقفين لبنانيين جعلوه عظيما بعدالته واصلاحاته . وللاربع من النسل الحمصي تاثير عظيم في المملكة الرومانية دام في حياتهن اربعين عاما واستمر بعدهن مئات الاعوام . ولدونا وما تماثيل لا يزال اثنان منها في عاصمتي ايطاليا وفرنسا .

وكما اجيز درس الشريعة في بيروتنا على عهد الاولى من الفي سنة ففي زمن الاخيرة وبتحريضها تأسست مدرستنا البيروتية لعلم الشرع من الف وسبعمئة عام ودامت اكثر من ثلاثمئة سنة موردا لطلاب العلوم الشرعية من جميع البلاد .

وازهرت ثقافات اللبنانيات في عهد الروم واثرت في تنظيم قوانين الملك يوستنيان تاثيرها في العلماء اللبنانيين المثقفين مثلهن ايضا باداب اليونان مما



عزز الثقافة اللبنانية وجدد مجدها الفينيقي .

ولكم تغني الشاعر المؤرخ نتوس في الجيل الخامس بمحاسن لبنانياتنا وادابهن من الف وخمسمئة سنة .

شهيدات المسيحية في لبنان عديدات . افدوكيا ، وبلاجيا ، بعلبك . ثيودوسيا ، صور . مرثيانا ، بيروت . ومن قديساته مارينا القلمون . رفقة حملايا .

امهات البطاركة . من انوهاميا والدة يوحنا مارون في الجيل السابع ، وكريتها اخته زوجة الامير يعقوب المردي ام الاميرين ابراهيم وقورش الى الدويهيتين من اهدن بسطا ومريم والدتي جرجس عميرة واسطفان الدويهي ، بعد الف سنة . الى غرة نصر ام الياس الحويك من مئة عام . فميلادا رفول والدة البطريرك الحالي ، ومن بينهن من الامهات منجبات بطاركة لبنان خلال الف وثلاثمئة من الاعوام لهن بواسطة ابنائهن تأثير كبير ولولا كثيرات منهن لما تعلم اولادهن . غير ناس امهات المطارنة اخصهن ورده الكك والدة يوحنا الحبيب وروجينا عطية ام يوسف الدبس .

والبطاركة اللبنانيون الروم والكاثوليك ومطارنة الملتين كم اثرت فيهم امهاتهم واخواتهم . ذاكراً منهن هند سليم والدة غريغوريوس حداد، واخته سوسان رفيقته الى روسيا ليترأس احتفالاتها الدينية في يوبيل الثلاثمئة سنة لعرش آل رومانوف النائلة وسامين روسي وعثماني ، ونجمة الشويري ام اثناس عطاالله ، واخته هنا . وامثالهن من امهات واخوات القضاة والمفتين وشيوخ العقل والحاخامين، وزوجاتهم .

والدات العلماء اللبنانيين، السماعنة الصهيوني الحاقلي الباني التولاوي البسكنتي وامثالهم من رسل التعليم في الشرق والغرب اثرن كثيراً بثقافات علمائنا ممجدي لبنان دعاة الفضل والخير المجدين في سبيل التهذيب الانساني .

ام الامام الاوزاعي بعلبكية جاءت بابنها بيروت حيث بدا فضله جلياً . وهو المجاوب سبعين الف مسألة، ودامت الاحكام الشرعية بموجب مذهبه مئتي سنة .

تقية الارمنازي مولودة صور من ادلة استمرار ثقافة اللبنانيات في جميع العصور .

ولا انسى عهدي بني امية وبني عباس في اربعة اجيال وما كان للمرأة اللبنانية فيها من حظ الثقافة الممزوجة يونانياً عربياً سريانياً .

الى ان حل الافرنج مئتي عام في لبنان وخلفتهم فيه دول عربية مثل هذه المدة الى زمن العثمانيين المستمر اربعمئة سنة .

ثمانية اجيال ايضاً امتزجت فيها ثقافات نسائنا بآداب مختلف اللغات، قبل النهضة الحديثة، شأنهن اليوم .

اديار الراهبات في لبنان مظهر ثقافي ديني لم يقتصر على العبادة دون العلم حتى في اظلم ايام الجهل . ولدير راهبات الزيارة في عين طوره مئتا سنة . ولكثير من الاديار امثال هذا العمر .

اميرات المردة ، آل تنوخ ، ارسلان ، علم الدين، معن، شهاب ، ابي اللمع . شيخات آل خازن ، حبيش ، دحداح ، بليبل ، جميل ، جمبلاط ، حمدان ، امين الدين ، القاضي، نكد، تلحوق، عبد الملك، عماد . كم لهن من تأثير في سبيل ثقافة لبنان . وحسبهن اوقافهن وما نتج عنها من الخير لبني الانسان .

الاميرة نسب المعنية والدة فخر الدين الشهير . الشيخة الجميلية زوجة ابراهيم الخازن مربية هذا الامير . زوجاته وبناته اخصهن المتغربات معه الى توسكانا . الشيخان الخازنيتان ام حصن قنصل فرنسا في بيروتنا معززة ولاية الشهابيين في لبنان من ٢٥٠ عاماً الساعية لحفيدها نوفل اليتيم فتولى القنصلية خلفاً لابيه، وكنة ابنها زوجة القنصل الحفيد . كم اثرن في لبناننا .

في العهد الشهابي في الجيل الماضي خلال اربعين سنة ولى الامير بشير الكبير عدة نساء احكام بلادهن لمزايا ثقافية نسبية .

فحكمت الاميرة حبوس ارسلان ناحية الغرب الشمالي في الشوف ، جنوبينا ، ثلاثين عاما، نصفها باسم زوجها .

وتولت زوجة الشيخ بشارة جفال الخازن واخته بدوانية عهدته في الذوق وعنطوراء والشيخة ام منصور زوجة الشيخ فضل الخازني تولت عهدة كسروان ومنعت بحسن سياستها الجيش المصري من دخول كسروانها، وفي وليمتها للغازي ابراهيم باشا حشت العصافير .

وابراهيم نفسه اقرها على الولاية كما عين جلول المرعب والدة حمد البك حاكمة عكار .

وفي جبل عامل شاركت اميرته الكاتبة الشاعرة فاطمة الاسعد زوجها علي بك في الحكم من تسعين عاما وانشأت عملاً في قلعتها تبنين لتربية اليتامى والمعوزين .

عاصرتها الزعيمات نائفة شمس في حاصبيا، عليا فرنسيس في القليعة ، بدر جمبلاط في المختارة ، فاخرة القاضي في بيصور .

وفي عهدي المتصرفين واصا ونعوم باشا من ستين سنة الى اربعين لمعت في ساحل لبنان الاميرة عليا شهاب كريمة الامير بشير الثالث الحاكم العام الشهابي الاخير زوجة الامير افندي رئيس مجلس الادارة اللبناني نائب المتصرف وكان لها تأثير كبير في الحكومة والساحل .

فلبنان الذي اعطى العالم هؤلاء النسوة في الاجيال السالفة منح الانسانية في هذا الجيل معززات لها في الثقافة والاحسان وسائر شؤون الحياة .

حبذا ان يتسنى لي احاديث عنهن في نهضتهن الحديثة خلال مئة عام . نكتفي الان بذكر رئيساتنا ملائكة رؤساء جمهوريتنا، مارسل دباس، نجلا السعد، لودي اده ، البس نقاش ، ومحسنتنا املي سرسق ، والزعيمة النظيرة . وما اولاني بذكر لطيفة الدوماني ولويزا البستاني والدتي فخامة رئيس الجمهورية ومعالي وزير التربية الوطنية ، وابويها جورج نقاش وخليل سركيس ، نصيري المرأة الداعيين الى تثقيفها من عشرات السنين . ولا انسى وردة رامز .

عاشت المرأة في لبنان .

جرجي نقولا باز



كلمة الختام

لمعالي وزير التربية والفنون الجميلة

يسرني في هذه اللحظات القليلة الباقية، قبل ان اختتم اسبوع الثقافة اللبنانية الذي اعدته وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، فاستمع اللبنانيون حيث اقاموا كما استمع كل ناطق بالضاد ، الى نخبة من الادباء اللبنانيين يتغنون بثقافة لبنان الادبية وما أداه للثقافة العربية العامة من خدمات ، فكان اسبوعاً حافلا لهشأنه وخطورته . يسرني باسم هذه الوزارة ان أشكر لمصلحة اذاعة الشرق وللخطباء ما قدموه من مساهمة وأقوال طيبة . كما أرجو ان تكون هذه التظاهرة الثقافية مقدمة لسلسلة من مثيلاتها .

ولعل اجمل ما قيل في هذا الاسبوع اظهار الاعمال الجليلة التي قام بها السلف الصالح في العصور السابقة ، وتابعه الخلف فيها بايمان وادراك . ويقيني ان اللبناني اليوم حريص كل الحرص على الاضطلاع بهذه الرسالة المجيدة التي جعلت من لبنان موطن شعر ، ورسول ادب وعلم . فقد كان لبنان ولم يزل ركناً عظيماً للنهضة العلمية والادبية في الشرق التي تجاوبت اصداؤها في انحاء العالم . واذا كان اسبوعنا هذا قد حفل بالادب بالوانه وخطوطه اللامعة دون سواه من بدائع الفكر ، فانني اؤمل ان يكون لنا في فرصة قادمة اسبوع للثقافة العلمية نستمع فيه الى بعض علماء لبنان . فالتاريخ والاقتصاد والفلك والزراعة وما الى ذلك مجالات واسعة وميادين فيحاء نعول عليها ونعتمدها .

واني كما افتتحت هذا الاسبوع الثقافي اللبناني أختتمه اليوم وانا فخور بان وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة قد قامت بقسطها من الواجب او ببعضه . والسلام عليكم ورحمة الله .

رامز سركيس

اللغة العربية ونصيب لبنان منها

تتمة الصفحة ٥٤

من الكتب ، بيد ان هذه البلاد كان لها اوفر حظ من النهضة العربية الادبية منذ عشرات المئات من السنين . ولصديقنا العلامة الشيخ سعيد اياس كتاب ضخم ترجم فيه لعلماء بيروت وحدهم ، ولكنه لم يطبع ، فعسى يوفق لطبعه لينتفع به الناس . فلا غرابة والحالة ما شرحنا ، ان تكون بلاد لبنان في عصر النهضة هذا في الرعيل الاول ، وان تكون السباقة في احياء العربية وادابها ، لان الدماء التي كانت تجري في الاجداد قد ورثها الاحفاد . فاللغة وآدابها تراث لهذه البلاد قديم . وان طريفها الحاضر وليد تليدها الغابر . فأي غرابة بعد هذا ان يكون نصيبها من نهضة اللغة منذ فجر النهضة الحديثة حتى يومنا هذا ، وافراً جداً وان يكون العلماء والكتاب والشعراء الذين نبغوا في اثناء هذه الحقبة ، جماهير يخطئهم العد ؟ ان هذه الديار اللبنانية كانت وما تزال وان تزال حاملة لواء النهضة العربية ومناراً للادب العربي وزعيمة لكل ما هو عربي لا تلقي عن عاتقها هذه الزعامة التي اعتقلتها منذ أكثر من قرن . ان البلاد التي انبثقت منها فكرة القومية العربية والاستقلال العربي والخلافة العربية والنهضات المطالبة بالاصلاح للبلاد العربية وقام فيها رجال كالشيخ ابراهيم اليازجي قصدوا القصائد وحبروا الخطب في طلب ان يكون للعرب حقهم في الحياة كما تحيا الامم حرة مستقلة ، ان هذه البلاد ستبقى للعرب والعربية الام الرؤوم .

ان الديار اللبنانية التي نهضت باللغة العربية واوحت الى العرب بفكرة النهضة العربية ، متفقاً في ذلك رأي اهلها ، على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ستظل رمزاً لهذه الفكرة وزعيمة لهذه النهضة .

مصطفى الغلاييني

الاحداث السياسية والحربية في شهر

افتتح شهر شباط الفائت بهزلة تحولت الى مأساة ، فقد انشأ الالمان في نروج حكومة وهمية برئاسة الخائن كيسلنغ . وفي اليوم التالي لهذا الحدث بدأت اعمال التخريب في جميع انحاء البلاد النروجية واعرب الرأي العام الاسوجي عن قلقه فقالت الصحف ان قرار حكومة الريخ سابق لاوانه مما اغضب المقامات الالمانية وحمل احد موظفي وزارة الخارجية الالمانية على القول بان اسوج ترى في تولي كيسلنغ السلطة بنروج قضاء على احلامها الرامية الى انشاء كتلة من البلدان الشمالية تحت اشرافها . على ان هذا الدس الالماني اذا دل على شيء فعلى فشل المحاولة الالمانية الرامية الى ادراج اسوج في عداد البلدان المؤيدة لسياسة « النظام الجديد » ولا حاجة بنا الى التنويه بأهمية انشاء كتلة الاركان الحربية الانكليزية الاميركانية للتأمين على توزيع العتاد الحربي على مختلف مسارح العمليات مع التأمين على توطيد التعاون بين القيادات المتحالفة ولا حاجة بنا ايضاً الى التنويه بأهمية انشاء « مجلس الباسيفيكي » الذي يضم انكلترا والولايات المتحدة وبلدان التاج البريطاني والهند الهولاندية . واتسمت الديبلوماسية البريطانية في مستهل شهر شباط بأمرين خطيرين احدهما عقد المحالفة الانكليزية الحبشية والاخر تعيين السيد رؤوف اوربي المعروف بكبستان سفيرا لتركيا في لندن . فالمحالفة الانكليزية الحبشية تشبه نوعا المحالفة الانكليزية الايرانية ولكنها اوسع نطاقاً . اما تعيين كبستان المعروف بصداقاته المتعددة في انكلترا سفيرا لتركيا في لندن فيدل على رغبة تركيا في المحافظة على ولائها للتحالف الانكليزي وفي انماء روابط الصداقة والتعاون بين البلدين اذا قضي الامر .

في مصر

وفي مستهل شباط عرفت جارتنا العزيزة مصر ازمة وزارية انتهت بتولي النحاس باشا ، زعيم الوفد ، زمام السلطة مزودا بصلاحية حل البرلمان الذي لم يتمثل فيه حزبه واجراء انتخابات في شهر اذار الجاري وقد سولت الدعاية المحورية لنفسها استثمار الموقف في مصر لحمل اوربا على الاعتقاد بان اسباب الازمة المصرية ترجع الى خلاف نشب بين بريطانيا العظمى والملك فاروق ، سوى ان الرسائل التي تبودلت بين السر ميلز لمبسن سفير انكلترا ، والنحاس باشا بمناسبة تاليف الحكومة الجديدة قطعت الدليل على ان العلائق الانكليزية المصرية لم تكن في اي يوم احسن منها اليوم . هذا الى ان النحاس باشا قطع السنة السوء بتاكيده للصحف ان الوفد سيعمد بوفاء الى تطبيق المعاهدة الانكليزية المصرية المعقودة في العام ١٩٣٦ قائلا ان الذين ارادوا تعكير الماء بين انكلترا ومصر قد باؤوا بفشل ذريع .

الهند والصين

ومن الاحداث الدبلوماسية الهامة التي تخللت شهر شباط رحلة المرشال الصيني تشنغ كاي شك وزوجته الى الهند . والغاية من هذه الرحلة هي التأمين من الوجهة العسكرية على الدفاع المشترك عن برمانيا والبقاع المجاورة للهند ، ومن الوجهة السياسية تحقيق اتحاد صيني هندي يعمل في آسيا لاجل انتصار الحلفاء . ولم تعرف التدابير الستراتيجية والعسكرية التي اتخذها المرشال تشنغ كاي شك بالاتفاق مع ممثلي اركان الحربية البريطانية ، اما من الوجهة السياسية فقد اسفرت مهمته عن نجاح تام بدليل ان جميع الزعماء الهنود نوهوا بتأييدهم القضية الديمقراطية .

الحياد الاسباني البرتغالي

وفيما المرشال تشنغ كاي شك يقوم بمباحثه في الهند كان السنيور سالازار رئيس الحكومة البرتغالية ، مجتمعا بالجنرال فرانكو في اسبانيا . وقد تناول بحثهما ثلاث مسائل هامة : تموين البلدين ، وموقف الحياد الاسباني البرتغالي ، وامكان التوفيق بين المتحاربين لعقد الصلح . وقد روئي لفرنكو وسالازار ان الصلح يستحيل في الاحوال الحاضرة فقررا المثابرة على التزام الحياد المطلق . اما المرشال انطونيسكو ، رئيس الحكومة الرومانية ، فقد توجه الى مقر القيادة الالمانية للاجتماع بهتلر واطلاعه على الاستياء الذي يسود رومانيا من جراء المطالب الالمانية الجديدة . ومعلوم ان المانيا طلبت من رومانيا ثلاثمائة الف رجل يشتركون في حملة الربيع بروسيا . ومما لا شك فيه ان لمقابلة انطونيسكو لهتلر صلة بالمظاهرات التي حصلت اخيراً في عدة مدن رومانية واضطرت مجلس الوزراء الروماني الى الاجتماع لاتخاذ تدابير احتياطية محافظة على الامن .

الميادين الحربية

هذا من الوجهة الدبلوماسية اما من الوجهة الحربية فقد اتسم الشهر المنصرم بعدة احداث اهمها معركة سنغافورة . فقد بقيت القوات البريطانية والامبراطورية اياماً عديدة صامدة في قلعة الشرق الاقصى تجابه هجمات اليابانيين المتزايدة في الشدة حتى اضطرت اخيراً الى الجلاء عن الجزيرة . ومما لا شك فيه ان فقدان سنغافورة حادث موجع ولكنه لا يوحي الذعر . وقد عقدت اركان الحربية الاميركانية في البيت الابيض بواشنطن مؤتمراً برئاسة مستر روزفلت درست فيه جميع عواقب الجلاء عن سنغافورة وتقررت التدابير العسكرية اللازمة للدفاع عن الهند الهولاندية وبحار الجنوب ومناطق المحيط الهندي . ومنذ سقوط سنغافورة لم يطرأ اي تبدل هام ، فقد استأنف اليابانيون هجومهم على الهند الهولاندية ، والفيليبين وبرمانيا بدون نتائج محسوسة . فالقوات الهولاندية التي يدعمها الطيران والاسطول الاميركانيان تنزل بهم خسائر فادحة جداً لا سيما في البحر . وفي الفيليبين يواصل الجنرال ماك ارثور المقاومة الظافرة ، وفي برمانيا يشن البريطانيون هجمات معاكسة يحالفها التوفيق .

هذا في الشرق الاقصى ، اما في افريقيا الشمالية فالعمليات الحربية لم تتسم بنشاط كبير ، ويبدو ان القوات الجرمانية الايطالية التي علمتها التجارب وجوب الحذر اصبحت لا تتورط كثيراً من جهة الشرق وتسعى للتمركز في مواقع يسهل الدفاع عنها . ومها يكن فقد اجمعت بلاغات الطرفين على الاشارة الى ان المبادهة في العمليات عادت الى البريطانيين . واما في الجبهة الروسية فالاحداث العسكرية تلخص في ما يلي : تملص لنينغراد من التطويق الالماني ، وتشديد ضغط الكلابة حول سمولنسك التي يطوقها الروس من ثلاث جهات ، وتطويق الروس لخركوف ، ونزول قوات روسية جديدة الى اليابسة في مضيق كرش . وقد عاد النشاط الروسي سيرته الاولى في الايام الاخيرة فاحتلت الجيوش السوفييتية ستارايا روسا بعد ان افنت جيشاً المانياً على بكرة ابيه واضطرت الالمان الى استقدام قوات طرية . ومجمل القول ان يكن موقف الحلفاء اضطرب في الشرق الاقصى خلال الشهر المنصرم فقد استفاد البريطانيون من دعامة كبرى في الميدان الدبلوماسي سواء في مصر او تركيا او الهند .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com